الإبانة عن أصول الديانة

للامام الشيخ أبي الحسن علي بن اسماعيل
ابن عبدالله بن أبي موسى الأشعري
المتوفي سنة بضع وعشرون وثلاثمائة



دار ابن زيدون
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان ص.ب ٧٨٤٦

الإبانة عن أصول الديانة

الطبعة الأولى

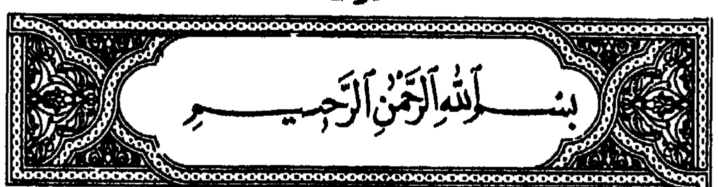


دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع

شارع الاستقلال - تلفون ٣٦٨٥٩٤/٢٢٥٨٨٨/٢٥٥٤٥٤ - برقياً: جبابكم - ص.ب ٧٨٤٦ - بيروت لبنان

istiklal st.- Phone 363394 - 225688 255454 - cable: jabahabkoum - ✉ 7846 beirut (lubanon)

مقدمة



قال السيد الامام ابوالحسن على بن اسماعيل الاشعرى البصرى رحمه الله

الحمد لله الواحد * العزيز الماجد * المتفرد بالتوحيد * المتمجد بالتمجيد * الذى لاتبلغه صفات العبيد * وليس له منازع (١) ولانديد * وهو المبدئ المعيد * الفعال(٢) لمايريد * جل عن اتخاذ الصواحب(٣) والأولاد(٤) وتقدس عن ملابسة(٥) الاجناس والارجاس ليست(٦) له صورة تقال * ولاحد يضرب له (٧) المثال * لم يزل بصفاته أولا قديرا * ولايزال عالماخبيرا * استوفى(٨) الاشياء علمه ونفذت فيها ارادته ولم تعزب عنه خفيات الامور * ولم تغيره سوالف صروف الدهور * ولم يلحقه فى خلق شيء مما يخلق (٩) كلال ولا تعب * ولامسه لغوب ولانصب * خلق الاشياء بقدرته * ودبرها بمشيئته * وقهرها بجبروته وذللها بعزته * فذل لعظمته المتكبرون واستكان لعز(١٠) ربوبيته المتعظمون * وانقطع دون الرسوخ فى علمه الممترون(١١) وذلت له الرقاب * وحارت فى ملكوته فطن ذوى الالباب * وقامت بكلمته(١٢) السموات السبع واستقرت الارض المهاد وثبتت الجبال الرواسى وجرت الرياح اللواقح وسار فى جو السماء السحاب * وقامت على حدودها البحار * وهو اله قاهر يخضع له المتعززون * ويخشع له المترفعون * ويدين طوعا وكرها له العالمون *

نحمده كما حمد نفسه وكما هواهله ومستحقه * وكما حمده الحامدون من جميع

---

(١) وفى نسخة مثل (٢) وفى نسخة بحذف هذه الفقرة (٣) وفى نسخة الصاحبة (٤) وفى نسخة الابناء (٥) وفى نسخة ملامسة النساء عوضا عن ملابسة الاجناس والارجاس (٦) وفى نسخة فليست له عزة تنال عوضا عن الفقرة بكاملها (٧) وفى نسخة له فيه الامثال (٨) وفى نسخة سبق

(٩) وفى نسخة خلق (١٠) وفى نسخة لعظم (١١) وفى نسخة العالمون

(١٢) وفى نسخة بحكمته

خلقه * ونستعينه استعانة من فوض أمره اليه * وأقر أنه لامنجأ ولا ملجأ منه إلا اليه * ونستغفره استغفار مقر بذنبه معترف بخطيئته * ونشهد ان لاإله الا الله وحده لاشريك له اقرارا بوحدانيته واخلاصا لربوبيته * وأنه العالم بما تبطنه الضمائر * وتنطوى عليه السرائر * وماتخفيه النفوس وماتجن(١) البحار * وماتوارى الاسراب * وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار * لاتوارى عنه كلمة ولا تغيب عنه غاية وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ويعلم مايعمل العاملون وما(٢) ينقلب اليه المنقلبون * ونستهديه بالهدى * ونسأله التوفيق لمجانبة الردى * ونشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله * ونبيه وأمينه وصفيه * أرسله الى خلقه بالنور الساطع * والسراج اللامع والحجج الظاهرة والبراهين والآيات الباهرة * والاعاجيب القاهرة فبلغ(٣) عن الله رسالاته . ونصح له فى برياته . وجاهد فى الله حق الجهاد . ونصح له فى البلاد . وقابل أهل العناد حتى تمت كلمة الله عز وجل وظهر أمره وانقاد الناس للحق اجمعين خاضعين حتى أتاه اليقين * لاوانيا ولا مقصرا فصلوات الله عليه من قائد الى الهدى ومبين عن ضلالة وعمى وعلى اهل بيته الطيبين * وعلى أصحابه المنتخبين وعلى أزواجه الطاهرات امهات المؤمنين: عرفنا الله به الشرائع والاحكام . والحلال والحرام . و بين لنا به شريعة الاسلام . حتى انجلت به عنا طخياء (٤) الظلم وانحسرت به عنا الشبهات . وانكشفت به عنا الغيابات . وظهرت لنا به البينات جاءنا بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد جمع فيه علم الاولين والآخرين . واكمل به الفرائض والدين . فهو صراط الله المستقيم وحبله المتين . من تمسك به نجا ومن خالفه ضل وغوى . وفى الجهل تردى وحث الله فى كتابه على التمسك بسنة رسوله عليه السلام فقال عزوجل

---

(١) وفى نسخة تخزن (٢) وفى نسخة والى أين (٣) وفى نسخة فبلغ رسالة ربه ونصح لأمته وجاهد فى الله حق جهاده (٤) من إضافة الصفة للموصوف ليلة طخياء أى شديدة الظلمة قد وارى السحاب قمرها *

وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . وقال عز وجل (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) وقال (ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وقال (وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله . فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول) يقول الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقال (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) ؛ وقال (قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى) . وقال (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله و رسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا) فامرهم ان يسمعوا قوله و يطيعوا امره ويحذروا مخالفته وقال (أطيعوا الله واطيعوا الرسول) ؛ فامرهم بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم كما أمرهم بطاعته ودعاهم الى التمسك بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كما أمرهم بالعمل بكتابه فنبذ كثير - ممن غلبت عليه شقوته واستحوذ (١) عليهم الشيطان - سنن نبي الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم ومالوا الى اسلاف لهم قلدوهم بدينهم ودانوا بديانتهم وابطلوا سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضوها . وانكروها وجحدوها افتراء منهم على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ؛ أوصيكم عباد الله بتقوى الله عز وجل وأحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة تغر أهلها وتخدع سكانها قال الله تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا) ؛ من كان فيها فى حيرة أعقبته بعدها عبرة ومن اعطته من سرائها بطنا أعقبته من ضرائها ظهرا (٢) غرارة غرور ما فيها فانية فان (٣) ما عليها كما حكم عليها ربها بقوله تعالى (كل من عليها فان) فاعملوا رحمكم الله للحياة الدائمة والخلود الأبد فان الدنيا تنقضى عن أهلها وتبقى الاعمال قلائد فى رقاب أهلها واعلموا انكم ميتون ثم انكم من بعد موتكم الى ربكم راجعون (٤) ليجزى الذين اساؤا بما

---

(١) وفى نسخة واستحوذت عليه بليته . سنه (٢) وفى نسخة ظهورا
(٣) وفى نسخة من (٤) وفى نسخة تصيرون

عنه منتهين *

■ باب فى ابانة قول أهل الزيغ والبدعة ■

اما بعد فان كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة واهل القدر مالت بهم اهواؤهم الى تقليد رؤسائهم ومن مضى من اسلافهم فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل الله به سلطانا ولا أوضح به برهانا ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ولا عن السلف المتقدمين فخالفوا روايات الصحابة عليهم السلام عن نبي الله صلوات الله عليه وسلامه فى رؤية الله عز وجل بالابصار وقد جاءت فى ذلك الروايات من الجهات المختلفات وتواترت بها الآثار وتتابعت بها الاخبار وانكروا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمذنبين و ردوا الروايات فى ذلك عن السلف المتقدمين وجحدوا عذاب القبر وان الكفار فى قبورهم يعذبون * وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون * ودانوا (١) بخلق القرآن نظيراً لقول اخوانهم من المشركين الذين قالوا (ان هذا إلا قول البشر) فزعموا ان القرآن كقول البشر واثبتوا وايقنوا ان العباد يخلقون الشر نظيراً لقول المجوس الذين اثبتوا خالقين أحدهم يخلق الخير والآخر يخلق الشر . و زعمت القدرية ان الله عز وجل يخلق الخير وان الشيطان يخلق الشر . و زعموا ان الله عز وجل يشاء مالا يكون ويكون مالا يشاء خلافا لما أجمع عليه المسلمون من أن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ورداً لقول الله عز وجل وما تشاؤن الا ان يشاء الله . فاخبرانا لا نشاء شيئا الا وقد شاء الله أن نشاءه ولقوله تعالى (ولوشاءالله مااقتتلوا) ولقوله تعالى (ولوشئنالآتينا كل نفس هداها) ولقوله تعالى (فعال لمايريد) ولقوله تعالى مخبرا عن شعيب انه قال (ومايكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما) ولهذا سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الامة لأنهم دانوا بديانة المجوس وضاهوا اقاويلهم وزعموا أن للخير والشر خالقين كما زعمت المجوس ذلك وانه يكون من الشرور مالا يشاء الله كما قالت

---

(١) وفى نسخة وتكلموا

المجوس وزعموا انهم يملكون الضر والنفع لانفسهم دون الله رداً لقول الله عز وجل لنبيه عليه السلام قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ⋅ واعراضا عن القرآن وعما أجمع عليه أهل الاسلام وزعموا انهم ينفردون بالقدرة على اعمالهم دون ربهم فاثبتوا لأنفسهم الغنى عن الله عز وجل ووصفوا انفسهم بالقدرة على مالم يصفوا الله عز وجل بالقدرة عليه كما أثبتت المجوس للشيطان من القدرة على الشر مالم يثبتوه لله عز وجل فكانوا مجوس هذه الأمةاذ دانوا بديانة المجوس وتمسكوا باقاويلهم ومالوا الى أضاليلهم وقنطوا الناس من رحمة الله وأيسوهم من روحه وحكموا على العصاة بالنار والخلود فيها خلافا لقول الله تعالى و يغفر مادون ذلك لمن يشاء . وزعموا أن من دخل النار لايخرج منها خلافا لما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يخرج قوما من النار بعد ان امتحشوا فيها وصاروا حمما ودفعوا ان يكون لله وجه مع قوله عز وجل (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وانكروا أن يكون له يدان مع قوله (لما خلقت بيدى) وانكروان يكون له عين مع قوله (تجرى باعيننا) ولقوله (ولتصنع على عينى) وانكرواان يكون لله علم مع قوله (انزله بعلمه) وانكروا ان يكون لله قوة مع قوله (ذو القوة المتين) ونفوا ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا وغير ذلك مما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جميع أهل البدع من الجهمية والمرجئة والحرورية اهل الزيغ فيما ابتدعوا وخالفوا الكتاب والسنة وما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه واجمعت عليه الامة كفعل المعتزلة القدرية وانا ذاكر ذلك بابا بابا وشيئا شيئا ان شاء الله و به المعونة . والتأييد . ومنه التوفيق والتسديد ⋅

■ باب فى ابانة قول أهل الحق والسنة ■

﴿ فان قال لنا قائل ﴾ قد انكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم التى بها تدينون ⋅ قيل له ⋅ قولنا الذى نقول به وديانتنا التى ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز

وجل و بسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وماروى عن الصحابة والتابعين وائمة الحديث ونحن بذلك معتصمون. وبما كان يقول به ابوعبدالله احمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولمن خالف قوله مجانبون لأنه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق (١) ورفع به الضلال واوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من امام مقدم وخليل (٢) معظم مفخم وعلى جميع ائمة المسلمين وجملة قولنا انا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرد من ذلك شيئا وان الله عز وجل اله واحد لا إله الا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وان محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق. وان الجنة حق والنار حق. وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور. وان الله استوى على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى). وان له وجها كما قال (ويبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام) وان له يدين بلا كيف كما قال (خلقت بيدى) وكما قال (بل يداه مبسوطتان) وان له عينا بلا كيف كما قال (تجرى بأعيننا) وان من زعم ان اسماء الله غيره كان ضالا وان لله علما كما قال (أنزله بعلمه) وكما قال (وماتحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه) ونثبت لله السمع والبصر ولا ننفى ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج ونثبت ان لله قوة كما قال (اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) ونقول ان كلام الله غير مخلوق وانه لم يخلق شيئا الا وقد قال له كن فيكون كما قال (انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) وانه لا يكون فى الأرض شيء من خير وشر الا ماشاء الله وان الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجل وان احدا لا يستطيع ان يفعل شيئا قبل ان يفعله الله ولا نستغنى عن الله ولا نقدر على الخروج من علم الله عز وجل وانه لا خالق الا الله وان أعمال العبد مخلوقة لله مقدورة كما قال (خلقكم وماتعملون) وان العباد لا يقدرون ان يخلقوا شيئا وهم يخلقون كما قال (هل من خالق غيرالله) وكما قال (لا يخلقون

---

(١) عند ظهور الضلال (٢) وفى نسخة وكبير مفهم

شيئاوهم يخلقون) وكما قال (افمن يخلق كمن لايخلق) وكما قال (ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون) وهذا فى كتاب الله كثير. وان الله وفق المؤمنين لطاعته ولطف بهم ونظر اليهم وأصلحهم وهداهم وأضل الكافرين ولم يهدهم ولم يلطف بهم بالايمان كما زعم أهل الزيغ والطغيان ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا صالحين ولو هداهم لكانوا مهتدين كما قال تبارك وتعالى (من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون) وان الله يقدر أن يصلح الكافرين و يلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه أراد ان يكونوا كافرين كما علم وانه خذلهم وطبع على قلوبهم وان الخير والشر بقضاء الله وقدره وانا نؤمن بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره ونعلم ان ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وان ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وان العباد لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا الا ماشاء الله وانا نلجىء أمورنا الى الله ونثبت الحاجة والفقر فى كل وقت اليه. ونقول ان القرآن كلام الله غير مخلوق وان من قال بخلق القرآن فهو كافر. وندين بان الله تعالى يرى فى الآخرة بالأبصار (١) كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقول ان الكافرين محجوبون عنه اذا رآه المؤمنون فى الجنة كما قال الله عز وجل (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وان موسى عليه السلام سأل الله عز وجل الرؤية فى الدنيا وان الله سبحانه وتعالى تجلى للجبل فجعله دكا فاعلم بذلك موسى انه لا يراه فى الدنيا (٢) ونرى بأن لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرقة وشرب الخمور كما دانت بذلك الخوارج وزعمت انهم كافرون. ونقول ان من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقة وما أشبهها مستحلا لها غير معتقد لتحريمها كان كافرا. ونقول ان الاسلام اوسع من الايمان وليس كل اسلام إيمان (٣) وندين بأنه يقلب القلوب وان القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل وإنه عز وجل يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع كما جاءت الرواية عن رسول الله

---

(١) وفى نسخة بالابصار يوم القيامة . (٢) وفى نسخة وندين

(٣) برفع ايمان فى النسختين اسم كان مؤخراً : للسجع

صلى الله عليه وسلم. وندين بأن لا ننزل احدا من أهل التوحيد والمتمسكين بالايمان جنة ولا نارا الا من شهدله رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ونرجو الجنة للمذنبين ونخاف عليهم ان يكونوا بالنار معذبين . ونقول ان الله عز وجل يخرج قوما من النار بعد ان امتحشوا بشفاعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديقا لما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ونؤمن بعذاب القبر و بالحوض . وان الميزان حق . والصراط حق . والبعث بعد الموت حق . وان الله عز وجل يوقف العباد فى الموقف و يحاسب المؤمنين . وان الايمان قول وعمل يزيد و ينقص ونسلم الروايات الصحيحة فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رواها الثقات عدل عن عدل حتى تنتهى الرواية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وندين بحب السلف الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ونثنى عليهم بما اثنى الله به عليهم ونتولاهم أجمعين . ونقول ان الامام الفاضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر الصديق رضوان الله عليه وان الله اعز به الدين واظهره على المرتدين وقدمه المسلمون للامامة كما قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة وسموه باجمعهم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم عثمان بن عفان رضى الله عنه وان الذين قاتلوه قاتلوه ظلما وعدوانا ثم على بن ابى طالب رضى الله عنه فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافتهم خلافة النبوة .ونشهد بالجنة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ونتولى سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ونكف عما شجر بينهم . وندين الله بان الأئمة الاربعة خلفاء راشدون مهديون فضلاء لا يوازيهم فى الفضل غيرهم . ونصدق بجميع الروايات التى يثبتها(١) اهل النقل من النزول الى السماء الدنيا وان الرب عز وجل يقول هل من سائل هل من مستغفر وسائر مانقلوه واثبتوه خلافا لما قاله أهل الزيغ والتضليل ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم واجماع المسلمين وما

---

(١) وفى نسخة ثبتها

كان فى معناه ولا نبتدع فى دين الله بدعة لم ياذن الله بها ولا نقول على الله مالا نعلم ونقول ان الله عزوجل يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وان الله عز وجل يقرب من عباده كيف شاء كما قال (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وكما قال (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) ومن ديننا أن نصلى الجمعة والاعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل بر وغيره (١) كما روى عن عبد الله بن عمر انه كان يصلى خلف الحجاج وان المسح على الخفين سنة فى الحضر والسفر خلافا لقول من أنكر ذلك ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والاقرار بامامتهم وتضليل من رأى الخروج عليهم اذا ظهر منهم ترك الاستقامة. وندين بترك (٢) الخروج عليهم بالسيف وترك القتال فى الفتنة * ونقر بخروج الدجال كما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * ونؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير ومساءلتهما المدفونين فى قبورهم * ونصدق بحديث المعراج ونصحح كثيرا من الرؤيا فى المنام ونقر (٣) ان لذلك تفسيرا * ونرى الصدقة عن موتى المسلمين (٤) والدعاء لهم ونؤمن بان الله ينفعهم بذلك ونصدق بان فى الدنيا سحرة وسحرا وان السحر كائن موجود فى الدنيا * وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم وتوارثهم * ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان * وان من مات او قتل فبأجله مات او قتل * وان الارزاق من قبل الله عز وجل يرزقها عباده حلالا وحراما. وان الشيطان يوسوس للانسان ويشككه و يتخبطه خلافا لقول المعتزلة والجهمية كما قال الله عزوجل (الذين يا كلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) * وكما قال (من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس) * ونقول ان الصالحين يجوز ان يخصهم الله عز وجل بآيات يظهرها عليهم * وقولنا فى اطفال المشركين ان الله يؤجج لهم فى الآخرة نارا ثم يقول لهم اقتحموها كما جاءت بذلك الرواية * وندين الله عز

---

(١) وفى نسخة وفاجر (٢) وفى نسخة بانكار (٣) وفى نسخة ونقول (٤) وفى نسخة المؤمنين

وجل بانه يعلم ما العباد عاملون والى ماهم صائرون وما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون وبطاعة الائمة ونصيحة المسلمين ﴿ ونرى مفارقة كل داعية الى بدعة ومجانبة أهل الاهواء : وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقى منه مما لم نذكره بابا بابا وشيئا شيئا ان شاء الله تعالى ﴿

■ باب الكلام فى اثبات رؤية الله تعالى بالأبصار فى الآخرة ■

قال الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة (يعنى مشرقة) الى ربها ناظرة) ، يعنى رائية وليس يخلو النظر من وجوه نحن ذاكروها : اما ان يكون الله عز وجل عنى نظر الاعتبار لقوله تعالى (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) او يكون عنى نظر الانتظار لقوله (ماينظرون الاصيحة واحدة) أويكون عنى نظر الرؤية فلا يجوز أن يكون الله عز وجل عنى نظر التفكر والاعتبار لأن الآخرة ليست بدار اعتبار ولا يجوز ان يكون عنى نظر الانتظار لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه فمعناه نظر العينين اللتين فى الوجه كما اذا ذكر أهل اللسان نظر القلب فقالوا انظر فى هذا الأمر بقلبك لم يكن معناه نظر العينين ولذلك اذا ذكر النظر مع الوجه لم يكن معناه نظر الانتظار الذى بالقلب وايضا فان نظر الانتظار لايكون فى الجنة لان الانتظار معه تنغيص وتكدير واهل الجنة لهم فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت من العيش السليم والنعيم المقيم واذا كان هذا هكذا لم يجز ان يكونوا منتظرين لانهم كلما خطر ببالهم شيء أتوا به مع خطوره ببالهم واذا كان ذلك كذلك فلا يجوز ان يكون الله عز وجل اراد نظر التعطف لان الخلق لا يجوز ان يتعطفوا على خالقهم واذا فسدت الاقسام الثلاثة صح القسم الرابع من اقسام النظر وهو أن معنى قوله الى ربها ناظرة انها رائية ترى ربها عزوجل : مما يبطل قول المعتزلة ان الله عز وجل اراد بقوله الى ربها ناظرة نظر الانتظار انه قال الى ربها ناظرة ونظر الانتظار بها لايكون مقرونا بقوله الى لأنه لايجوز عند العرب ان يقولوا فى نظر الانتظار الى ألا ترى أن الله عز وجل لما قال ما ينظرون الا صيحة واحدة لم يقل الى اذ كان معناه الانتظار : وقال عن بلقيس (فناظرة بم يرجع المرسلون) فلما أرادت

الانتظار لم تقل الى : وقال امرؤ القيس

فانكما ان تنظرانى ساعة من الدهر تنفعنى لدى أم جندب

فلما اراد الانتظار لم يقل الى فلما قال عز وجل الى ربها ناظرة علمنا انه لم يرد الانتظار وانما اراد نظر الرؤية ولما قرن الله النظر بذكر الوجه أراد نظر العينين اللتين فى الوجه كما قال قد نرى تقلب وجهك فى السماء فانولينك فذكر الوجه وانما أراد تقلب عينيه نحو السماء ينتظر نزول الملك عليه بصرف الله له عن قبلة بيت المقدس الى الكعبة (فان قال قائل) لم لا تقولون ان قوله الى ربها ناظرة انما اراد الى ثواب ربها ناظرة ؟ قيل له ثواب الله عز وجل غيره تعالى والله تعالى قال الى ربها ناظرة ولم يقل الى غيره ناظرة والقرآن على ظاهره وليس لنا أن نزيله عن ظاهره الا لحجة والا فهو على ظاهره ألا ترى أن الله عز وجل لما قال صلوا لى واعبدونى لم يجز ان يقول قائل انه اراد غيره ويزيل الكلام عن ظاهره فلذلك لما قال الى ربها ناظرة لم يجز انا ان نزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة . ثم يقال للمعتزلة ان جاز لكم ان تزعموا ان قول الله عز وجل الى ربها ناظرة انما اراد به انها الى غيره ناظرة فلم ماجاز لغيركم ان يقول ان قول الله عز وجل لا تدركه الأبصار اراد بها لا تدرك غيره ولم يردانها لا تدركه ؟ وهذا مالا يقدرون على الفرق فيه

■ ودليل آخر ■ ومما يدل على ان الله تعالى يرى بالأبصار قول موسى (رب أرنى انظر اليك) ولا يجوز ان يكون موسى عليه السلام الذى قد ألبسه الله تعالى جلباب النبيين وعصمه بما عصم به المرسلين فيسأل ربه ما يستحيل عليه واذا لم يجز ذلك على موسى فقد علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلا وان الرؤية جائزة على ربنا عز وجل ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا كما زعمت المعتزلة ولم يعلم ذلك موسى عليه السلام وعلموا هم لكانوا على قولهم اعلم بالله من موسى عليه السلام وهذا مالا يدعيه مسلم (فان قال قائل) الستم تعلمون حكم الله فى الظهار اليوم ولم يكن نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ذلك قبل ان ينزل ؟ قيل له . لم يكن يعلم نبى الله صلى الله عليه وسلم ذلك قبل ان يلزم الله العباد حكم الظهار فلما لزمهم الحكم به أعلم نبيه قبلهم ثم اعلم نبي الله عباد الله ذلك ولم يأت عليه وقت لزمه حكمه فلم يعلم عليه السلام

وأنتم زعمتم ان موسى عليه السلام كان قد لزمه ان يعلم حكم الرؤية وانها مستحيلة عليه وإذا لم يعلم ذلك وقت ان لزمه علمه علمتموه انتم الآن لزمكم بجهلكم انكم بما لزمكم العلم به الآن أعلم من موسى عليه السلام بما لزمه العلم به وهذا خروج عن دين المسلمين.

■ ودليل آخر ■ مما يدل على جواز رؤية الله تعالى بالأبصار قول الله تعالى لموسى (فان استقر مكانه فسوف تراني) فلما كان الله عز وجل قادرا على ان يجعل الجبل مستقرا كان قادرا على الأمر الذى لو فعله لرآه موسى فدل ذلك على ان الله تعالى قادر على ان يرى عباده نفسه وإنه جائز رؤيته (فان قال) فلم ماقلتم ان قول الله تعالى فان استقر مكانه فسوف تراني تبعيد للرؤية ؟ قيل له . لو اراد الله عز وجل تبعيد الرؤية لقرن الكلام بما يستحيل وقوعه ولم يقرنه بما يجوز وقوعه فلما قرنه باستقرار الجبل وذلك أمر مقدور لله سبحانه دل ذلك على انه جائز ان يرى الله عز وجل الا ترى ان الخنساء لما أرادت تبعيد صلحها لمن كان حربا لاخيها قرنت الكلام بمستحيل فقالت

ولا أصالح قوما كنت حربهم * حتى تعود بياضا حلكة القارى

والله عز وجل انما خاطب العرب بلغتها ونحن نرجع الى ما نجده مفهوما فى كلامها ومعقولا فى خطابها فلما قرن الله الرؤية بامر مقدور جائز علمنا أن رؤية الله بالأبصار جائزة غير مستحيلة.

■ ودليل آخر ■ قال عز وجل (للذين احسنوا الحسنى و زيادة) . قال أهل التأويل النظر الى الله عز وجل ولم ينعم الله عز وجل أهل جنانه بافضل من نظرهم اليه ورؤيتهم له وقال عز وجل (ولدينا مزيد) * قيل * النظر إلى الله عز وجل وقال (تحيتهم يوم يلقونه سلام) * وإذا لقيه المؤمنون رأوه وقال الله (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) * فحجبهم عن رؤيته ولا يحجب عنها المؤمنين.

■ سؤال ■ فان قال قائل فما معنى قوله لا تدركه الابصار ؟ قيل له يحتمل أن يكون لا تدركه فى الدنيا وتدركه فى الآخرة لان رؤية الله تعالى أفضل اللذات وأفضل اللذات يكون فى أفضل الدارين ويحتمل أن يكون الله عز وجل أراد بقوله لا تدركه

الابصار يعني لاتدركه أبصار الكافرين المكذبين وذلك أن كتاب الله يصدق بعضه بعضا فلما قال في آية (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال في آية أخرى (لا تدركه الابصار) علمنا أنه انما أراد أبصار الكفار لاتدركه.

■ مسئلة والجواب عنها ■

فان قال قائل قد استكبر الله سؤال السائلين له أن يرى بالابصار فقال يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فيقال لهم ان بنى إسرائيل سألوا رؤية الله عز وجل على طريق الانكار لنبوة موسى وترك الايمان به حتى يروا الله لانهم قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فلما سألوه الرؤية على طريق ترك الايمان بموسى عليه السلام حتى يريهم الله نفسه استعظم الله سؤالهم من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليه كما استعظم الله سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتابا من السماء من غير أن يكون ذلك مستحيلا ولكن لانهم أبوا ان يؤمنوا بنبي الله حتى ينزل عليهم من السماء كتابا.

(دليل آخر) : ومما يدل على رؤية الله عز وجل بالابصار ماروته الجماعات من الجهات المختلفات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضارون في رؤيته». والرؤية اذا أطلقت اطلاقا ومثلت برؤية العيان لم يكن معناها الا الرؤية بالعيان وروبت الرؤية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق مختلفة : عدة رواتها أكثر من عدة خبر الرجم ومن عدة من روى ان النبي صلى الله عليه آله وسلم قال لا وصية لوارث. ومن عدة رواة المسح على الخفين ومن عدة رواة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتنكح المرأة على عمتها ولا خالتها. واذا كان الرجم وما ذكرناه سننا عند المعتزلة كانت الرؤية أولى أن تكون سنة لكثرة رواتها ونقلتها يرويها خلف عن سلف وحديث انى اراه لا حجة فيه لانه انما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن رؤية الله عز وجل في الدنيا وقال له هل رأيت ربك فقال نور : أنى أراه ؟ لان العين لاتدرك في الدنيا الانوار

المخلوقة على حقائقها لان الانسان لو حدق بنظره الى عين الشمس فادام النظر الى عينها لذهب أكثر نور بصره فاذا كان الله عز وجل حكم فى الدنيا بأن لاتقوم العين بالنظر الى عين الشمس فاحرى ان لاتثبت البصر للنظر الى الله عز وجل فى الدنيا الا أن يقويه الله عز وجل فرؤية الله سبحانه فى الدنيا قد اختلف فيها وقد روى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل تراه العيون فى الآخرة ۞ وما روى عن أحد منهم أن الله عز وجل لاتراه العيون فى الآخرة : فلما كانوا على هذا مجمعين وبه قائلين وان كانوا فى رؤيته فى الدنيا مختلفين ثبتت الرؤية فى الآخرة اجماعا وان كانت فى الدنيا مختلفا فيها ونحن انما قصدنا الى اثبات رؤية الله فى الآخرة على أن هذه الرواية على المعتزلة لالهم لانهم ينكرون ان الله نور فى الحقيقة فاذا احتجوا بخبر: هم له تاركون وعنه منحرفون كانوا محجوجين ۞

■ دليل آخر ■ : ومما يدل على رؤية الله عز وجل بالابصار انه ليس موجود الا وجائز ان يريناه الله عز وجل وانما لا يجوز أن يرى المعدوم فلما كان الله عز وجل موجودا مثبتا كان غير مستحيل ان يرينا نفسه عز وجل وانما أراد من نفى رؤية الله عز وجل بالابصار التعطيل فلما لم يمكنهم أن يظهروا التعطيل صراحا أظهروا مايؤول بهم الى التعطيل والجحود تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ۞

﴿ دليل آخر ﴾ ومما يدل على رؤية الله سبحانه بالابصار ان الله عز وجل يرى الاشياء واذا كان للاشياء رائيا فلا يرى الاشياء من لا يرى نفسه واذا كان لنفسه رائيا فجائز أن يرينا نفسه وذلك أن من لا يعلم نفسه لا يعلم شيئا فلما كان الله عز وجل عالما بالاشياء كان عالما بنفسه فلذلك من لا يرى نفسه لا يرى الاشياء فلما كان الله عز وجل رائيا للاشياء كان رأئيا لنفسه واذا كان رائيا لها فجائز أن يرينا نفسه كما أنه لما كان عالما بنفسه جاز أن يعلمناها وقد قال الله تعالى انى معكما أسمع وأرى ۞ فاخبر أنه سمع كلامهما و رآهما ومن زعم أن الله عز وجل لا يجوز أن يرى بالابصار يلزمه أن لا يجوز أن يكون الله عز وجل رائيا ولا عالما ولا قادرا لان العالم القادر الرائى جائز أن يرى ۞ فان قال قائل ۞ قول النبي صلى

الله عليه وسلم ترون ربكم يعنى تعلمون ربكم اضطرارا . قيل له ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه هذا على البشارة فقال فكيف بكم اذا رأيتم الله عز وجل ؟ ولا يجوز أن يبشرهم بامر يشركهم فيه الكفار على أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ترون ربكم وليس يعنى رؤية دون رؤية بل ذلك عام فى رؤية العين ورؤية القلب .

■ دليل آخر ■ ان المسلمين اتفقوا على أن الجنة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من العيش السليم والنعيم المقيم وليس نعيم فى الجنة أفضل من رؤية الله عز وجل بالابصار وأكثر من عبد الله عز وجل عبده للنظر الى وجهه فاذا لم يكن بعد رؤية الله أفضل من رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم وكانت رؤية نبي الله أفضل لذات الجنة كانت رؤية الله عز وجل أفضل من رؤية نبيه عليه الصلاة والسلام واذا كان ذلك كذلك لم يحرم الله أنبياءه المرسلين وملائكته المقربين وجماعة المؤمنين والصديقين من النظر الى وجهه عز وجل وذلك أن الرؤية لاتؤثر فى المرئى لان رؤية الرائى تقوم به فاذا كان هذا هكذا وكانت الرؤية غير مؤثرة فى المرئى لم توجب تشبيها ولا انقلابا عن حقيقة ولم يستحل على الله عز وجل أن يرى عباده المؤمنين نفسه فى جنانه .

■ باب فى الرؤية ■

احتجت المعتزلة فى أن الله عز وجل لا يرى بالابصار بقوله عز وجل لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار . قالوا فلما عطف الله عز وجل بقوله وهو يدرك الابصار على قوله لاتدركه الابصار وكان قوله وهو يدرك الابصار على العموم انه يدركها فى الدنيا والآخرة وانه يراها فى الدنيا والآخرة كان قوله لا تدركه الابصار دليلا على انها لاتراه الابصار فى الدنيا والآخرة وكان فى عموم قوله وهو يدرك الابصار لان احد الكلامين معطوف على الآخر . قيل لهم . فيجب اذا كان عموم القولين واحدا وكانت الابصار أبصار العيون وأبصار القلوب لان الله عز وجل قال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور

وقال أولى الايدى والابصار ، اى فهى بالابصار فاراد ابصار القلوب وهى التى يقصد بها المؤمنون الكافرين ويقول اهل اللغة فلان بصير بصناعته يريدون بصير العلم ويقولون قد أبصرته بقلبي كما يقولون قد أبصرته بعيني فاذا كان البصر بصر العيون وبصر القلوب ثم أوجبوا علينا أن يكون قوله لاتدركه الابصار فى العموم كقوله وهو يدرك الابصار لان أحد الكلامين معطوف على الآخر وجب عليهم بحجتهم ان الله عز وجل لايدرك بابصار العيون ولا بابصار القلوب لان قوله لا تدركه الابصار فى العموم كقوله وهو يدرك الابصار واذا لم يكن عندهم هكذا فقد وجب أن يكون قوله لاتدركه الابصار اخص من قوله وهو يدرك الابصار وانتقض احتجاجهم . وقيل . لهم انكم زعمتم انه لوكان قوله لاتدركه الابصار خاصا فى وقت دون وقت لكان قوله وهو يدرك الابصار خاصا فى وقت دون وقت وكان قوله (ليس كمثله شيء) وقوله (لاتأخذه سنة ولا نوم) ، وقوله (لا يظلم الناس شيئا) وفى وقت دون وقت فان جعلتم قوله لا تدركه الابصار خاصا رجع احتجاجكم عليكم . وقيل لكم .. اذا كان قوله لا تدركه الابصار خاصا ولم يجب خصوص هذه الآيات فلم أنكرتم ان يكون قوله عز وجل لا تدركه الابصار انما أراد فى الدنيا دون الآخرة كما ان قوله لاتدركه الابصار اراد بعض الابصار دون بعض ولا يوجب ذلك تخصيص هذه الآيات التى عارضتمونا بها . فان قالوا : قوله لاتدركه الابصار يوجب أنه لا يدرك بها فى الدنيا والآخرة وليس ينفى ذلك أن نراه بقلوبنا ونبصره بها ولا ندركه بها قيل لهم فما أنكرتم أن يكون لاندركه بابصار العيون ولا يوجب اذا لم ندركه بها أن لانراه بها فرؤيتناله بالعيون وأبصارنا له بها ليس بادراك له بها كما أن ابصارنا له بالقلوب ورؤيتنا له بها ليس بادراك له .. فان قالوا رؤية البصر هى أدراك البصر . قيل لهم .. ما الفرق بينكم و بين من قال ان رؤية القلب وابصاره هو ادراكه واحاطته فاذا كان علم القلب بالله عز وجل وابصار القلب له رؤيته اياه ليس باحاطة ولا ادراك فما أنكرتم ان تكون رؤية العيون وابصارها لله عز وجل ليس باحاطة ولا ادراك

■ جواب ■ و يقال لهم اذا كان قول الله عز وجل لاتدركه الابصار فى العموم كقوله وهو يدرك الإبصار لان أحد الكلامين معطوف على الآخر فخبرونا اليس الابصار والعيون لاتدركه رؤية و لا لمسا و لاذوقا و لاعلى وجه من الوجوه ؟ فان قالوا نعم فيقال لهم اخبرونا عن قوله عز وجل وهو يدرك الابصار اتزعمون انه يدركها لمسا وذوقا بان يلمسها فان قالوا لافيقال لهم فقد انتقض قولكم ان قوله وهو يدرك الابصار فى العموم كقوله لاتدركه الابصار ۞

■ سؤال ■ ان قال قائل منهم ان البصر فى الحقيقة هو بصر العين لا بصر القلب ۞ قيل له ۞ ولم زعمت هذا وقد سمى اهل اللغة بصر القلب بصرا كما سموا بصر العين بصرا ؟ وان جاز لك ماقلته جاز لغيركم ان يزعم ان البصر فى الحقيقة هو بصر القلب دون العين واذا لم يجز هذا فقد وجب ان البصر بصر العين و بصر القلب ۞

■ جواب ■ و يقال لهم حدثونا عن قول الله عز وجل وهو يدرك الابصار مامعناه. فان قالوا امعنى يدرك الابصار انه يعلمها ۞ قيل لهم ۞ واذا كان أحد الكلامين معطوفا على الآخر وكان قوله عز وجل وهو يدرك الابصار معناه يعلمها فقد وجب أن يكون قوله لاتدركه الابصار لاتعلمه وهذا نفى للعلم لا للرؤية الابصار ۞ فان قالوا ۞ معنى قوله وهو يدرك الابصار انه يراها رؤية ليس معناها العلم ۞ قيل لهم ۞ فالابصار التى فى العيون يجوز أن ترى فان قالوا نعم ينقضوا قولهم انا لانرى بالبصر الا من جنس مايرى الساعة فان جاز ان يرى الله و كل ماليس من جنس المرئيات وهو الابصار فى العين فلم يجوز ان يرى نفسه وان لم يكن من جنس المرئيات ولم لايجوز ان يرينا نفسه وان لم يكن من جنس المرئيات ؟ ويقال لهم حدثونا اذا رأينا شيئا فبصرناه او انما يراه الرائى دون البصر فان قالوا انه محال ان يرى البصر الذى فى العين فيقال لهم الآية تنفى ان تراه الابصار ولا تنفى ان يراه المبصرون وانما قال الله عز وجل لاتدركه الابصار فهذا لايدل على أن المبصرين لايرونه على ظاهر الآية ۞

■ باب الكلام فى ان القرآن كلام الله غير مخلوق ■

ان سأل سائل عن الدليل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ۞ قيل له . الدليل على ذلك قوله عز وجل ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره وامر الله هو

كلامه وقوله فلما أمرهما بالقيام فقامتا لايهويان كان قيامهما بامره وقال عز وجل ألا له الخلق والامر ، فالخلق جميع ماخلق داخل فيه لان الكلام اذا كان لفظه عاما فحقيقته انه عام ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان فلما قال ألا له الخلق كان هذا فى جميع الخلق ولما قال والامر ذكر أمرا غير جميع الخلق فدل ماوصفنا على أن امر الله غير مخلوق . فان قال قائل . اليس قد قال الله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال . قيل له .. نحن نخص القرآن بالاجماع وبالدليل فيما ذكر الله عزوجل نفسه وملائكته ولم يدخل فى ذكر الملائكة جبريل وميكال وان كانا من الملائكة ذكرهما بعد ذلك كأنه قال الملائكة الا لجبريل وميكال ثم ذكرهما بعد ذكر الملائكة فقال وجبريل وميكال ولما قال ألا له الخلق والامر ، ولم يخص قوله الخلق دليل كان قوله ألا له الخلق فى جميع الخلق ثم قال بعد ذكره الخلق والامر فابان الامر من الخلق وأمر الله كلامه وهذا يوجب ان كلام الله غير مخلوق وقال عز وجل لله الامر من قبل ومن بعد ، يعنى من قبل أن يخلق الخلق ومن بعد ذلك وهذا يوجب ان الامر غير مخلوق .

■ دليل آخر ■ ومما يدل من كتاب الله على أن كلامه غير مخلوق قوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون ، فلو كان القرآن مخلوقا لوجب ان يكون مقولا له كن فيكون ولو كان الله عزوجل قائلا للقول كن كان للقول قولا وهذا يوجب احد امرين . اما ان يؤول الامر الى ان قول الله غير مخلوق او يكون كل قول واقع بقول لا الى غاية وذلك محال واذا استحال ذلك صح وثبت ان لله عز وجل قولا غير مخلوق .

■ سؤال ■ : فان قال قائل ، معنى قول الله ان يقول له كن فيكون انما يكونه فيكون (قيل الظاهر) أن يقول له ولا يجوز ان يكون قول الله للاشياء كلها كونى هو الأشياء لأن هذا يوجب ان تكون الأشياء كلها كلام الله عزوجل ومن قال ذلك فقد أعظم الفرية لأنه يلزمه ان يكون كل شيء فى العالم من انسان وفرس وحمار وغير ذلك كلام الله وفى هذا مافيه . فلما استحال ذلك صح ان قول الله للاشياء كونى غيرها وإذا كان غير المخلوقات فقد خرج كلام الله عز

وجل عن ان يكون مخلوقا ويلزم من اثبت كلام الله مخلوقا ان يثبت ان الله غير متكلم ولا قائل وذلك فاسد كما يفسد ان يكون علم الله مخلوقا وان يكون الله غير عالم فلما كان الله عز وجل لم يزل عالما اذ لم يجز ان يكون لم يزل بخلاف العلم موصوفا استحال ان يكون لم يزل بخلاف العلم موصوفا لأن خلاف الكلام الذى لا يكون معه كلام سكوت او آفة كما ان خلاف العلم الذى لا يكون معه علم هو جهل او شك او آفة و يستحيل ان يوصف ربنا عز وجل بخلاف العلم ولذلك يستحيل ان يوصف بخلاف الكلام من السكوت والآفات فوجب لذلك ان يكون لم يزل متكلما كما وجب ان يكون لم يزل عالما .

■ دليل آخر ■ وقال الله عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى . فلو كانت البحار مدادا كتبت لنفدت البحار وتكسرت الأقلام ولم يلحق الفناء كلمات ربى كما لا يلحق الفناء علم الله عز وجل ومن فنى كلامه لحقته الآفات وجرى عليه السكوت فلما لم يجز ذلك على ربنا عز وجل صح انه لم يزل متكلما لأنه لو لم يكن متكلما وجب السكوت والآفات وتعالى ربنا عن قول الجهمية علوا كبيرا .

■ الفصل ■

وزعمت الجهمية كما زعمت النصارى لأن النصارى زعمت ان كلمة الله حواها بطن مريم وزادت الجهمية عليهم فزعمت ان كلام الله مخلوق حل فى شجرة و كانت الشجرة حاوية له فلزمهم ان تكون الشجرة بذلك الكلام متكلما ووجب عليهم ان مخلوقا من المخلوقين كلم موسى وان الشجرة قالت ياموسى انى أنا الله لااله الا أنا فاعبدنى فلو كان كلام الله مخلوقا فى شجرة لكان المخلوق قال ياموسى انى أنا الله لااله الا أنا فاعبدنى وقد قال الله عز وجل ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وكلام الله عز وجل من الله لا يجوز أن يكون كلامه الذى هو منه مخلوقا فى شجرة مخلوقة كما لايجوز أن يكون علمه الذى هو منه مخلوقا فى غيره تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

■ جواب ■ : و يقال لهم كما لايجوز أن يخلق الله عز وجل ارادته فى بعض

المخلوقات كذلك لايجوز أن يخلق كلامه فى بعض المخلوقات ولو كانت ارادة الله مخلوقة فى بعض المخلوقات لكان ذلك المخلوق هو المريد لها وذلك يستحيل وكذلك يستحيل أن يخلق الله كلامه فى مخلوق لان هذا يوجب أن ذلك المخلوق متكلم له و يستحيل أن يكون كلام الله عز وجل كلاما للمخلوق.

■ دليل آخر ■ : ومما يبطل قولهم أن الله عز وجل قال مخبرا عن المشركين انهم قالوا ان هذا الا قول البشر . يعنى القرآن فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد جعله قولا للبشر وهذا ما أنكر الله على المشركين وايضا فلو لم يكن الله متكلما حتى خلق الخلق ثم تكلم بعد ذلك لكانت الاشياء قد كانت لاعن أمره ولا عن قوله ولم يكن قائلا لها كونى وهذا رد القرآن والخروج عما عليه جمهور أهل الاسلام

■ الفصل ■

واعلموا رحمكم الله أن قول الجهمية أن كلام الله مخلوق يلزمهم به ان يكون الله عز وجل لم يزل كالأصنام التى لا تنطق ولا تتكلم لو كان لم يزل غير متكلم لأن الله عز وجل يخبر عن ابراهيم عليه السلام انه قال لقومه لما قالوا له من فعل هذا بآلهتنا ياابراهيم ؟ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فاحتج عليهم بان الاصنام اذا لم تكن ناطقة متكلمة لم تكن آلهة وان الاله لا يكون غير ناطق ولا متكلم فلما كانت الاصنام التى لا تستحيل ان يحييها الله و ينطقها لا تكون آلهة فكيف يجوز ان يكون من يستحيل عليه الكلام فى قدمه الها . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واذا لم يجز ان يكون الله سبحانه فى قدمه بمرتبة دون مرتبة الاصنام التى لاتنطق فقد وجب ان يكون لم يزل متكلما.

■ دليل آخر ■ : وقد قال الله تعالى مخبرا عن نفسه أنه يقول لمن الملك اليوم ؟ وجاءت الرواية انه يقول هذا القول فلايرد عليه أحد شيئا فيقول : لله الواحد القهار. فاذا كان عز وجل قائلا مع فناء الاشياء اذ لا انسان ولا ملك ولا حى ولا جان ولا شجر ولا مدر فقد صح ان كلام الله عز وجل خارج عن الخلق لانه يوجد ولا شيء من المخلوقات موجود.

■دليل آخر■ : وقد قال الله عز وجل وكلم الله موسى تكليما . والتكليم هو المشافهة بالكلام ولا يجوز ان يكون كلام المتكلم حالا فى غيره مخلوقا فى شيء سواه كما لا يجوز ذلك فى العلم .

■ دليل آخر■ وقال الله عز وجل قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . فكيف يكون القرآن مخلوقا واسم الله فى القرآن هذا يوجب أن تكون أسماء الله مخلوقة ولو كانت أسماؤه مخلوقة لكانت وحدانيته مخلوقة وكذلك علمه وقدرته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

■دليل آخر■ وقد قال الله تعالى تبارك اسم ربك ولا يقال للمخلوق تبارك فدل هذا على أن أسماء الله غير مخلوقة وقال ويبقى وجه ربك فكما لا يجوز أن يكون وجه ربنا مخلوقا فكذلك لا تكون اسماؤه مخلوقة .

■دليل آخر■ وقد قال الله عز وجل (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط) ولا بد أن يكون شهد بهذه الشهادة وسمعها من نفسه لانه ان كان سمعها من مخلوق فليست شهادة له واذا كانت شهادة له وقد شهد بها فلا يخلو أن يكون شهد بها قبل كون المخلوقات أو بعد كون المخلوقات فان كان شهد بها بعد كون المخلوقات فلم تتسق شهادته لنفسه بآلهية الخلق وكيف يكون ذلك كذلك ؟ وهذا يوجب أن التوحيد لم يكن نشهد به شاهدا قبل الخلق ، لو استحالت الشهادة بالوحدانية قبل كون الخلق لاستحال اثبات التوحيد ووجوده وأن يكون واحدا قبل الخلق لان ما تستحيل الشهادة عليه فمستحيل وان كانت شهادته لنفسه بالتوحيد قبل الخلق فقد بطل أن يكون كلام الله عز وجل مخلوقا لان كلامه شهادته .

■ دليل آخر■ ومما يدل على بطلان قول الجهمية وان القرآن كلام الله غير مخلوق ان أسماء الله من القرآن وقد قال عز وجل (سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى) : ولا يجوز أن يكون اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى مخلوقا كما لا يجوز أن يكون جد ربنا مخلوقا قال الله فى سورة الجن تعالى جد ربنا وكما لا يجوز أن تكون عظمته مخلوقة كذلك لا يجوز ان يكون كلامه مخلوقا .

■دليل آخر■ : وقد قال الله عز وجل وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا او

من و راء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء)» فلو كان كلام الله لا يوجد الا مخلوقا فى شىء مخلوق لم يكن لاشتراط هـــذه الوجوه معنى لأن الـكلام قد سمعه جميع الخلق ووجدوه بزعم الجهمية مخلوقا فى غير الله عز وجل وهذا يوجب اسقاط مرتبة النبيين صلوات الله عليهم و يجب عليهم اذا زعموا أن كلام الله لموسى خلقه فى شجرة ان يكون من سمع كلام الله عز وجل من ملك او من نبي أتى به من عند الله افضل مرتبة فى سماع الـكلام من موسى لانهم سمعوه من نبي ولم يسمعه موسى من الله عز وجل وانما سمعه من شجرة وان (١) يزعموا ان اليهودى اذا سمع كلام الله من نبي عليه السلام افضل مرتبة فى هذا المعنى من موسى بن عمران لان اليهودى سمعه من نبي من أنبياء الله وموسى سمعه مخلوقا فى شجرة ولو كان مخلوقا فى شجرة لم يكن مكلما لموسى من وراء حجاب لان من حضر الشجرة من الجن والانس قد سمعوا الـكلام من ذلك المـكان وكان سبيل موسى وغيره فى ذلك سواء فى انه ليس كلام الله له من و راء حجاب ».

جواب : ثم يقال لهم اذا زعمتم أن معنى أن الله عز وجل كلم موسى انه خلق كلاما كلمه به وقد خلق الله عندكم فى الذراع كلاما لان الذراع قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا تأكلنى فانى مسمومة » فلزمكم أن ذلك الـكلام الذى سمعه النبي عليه السلام كلام الله عز وجل فان استحال ان يكون الله تكلم بذلك الـكلام المخلوق فما أنكرتم من انه مستحيل ان يخلق الله عز وجل كلامه فى شجرة لان كلام المخلوق لا يكون كلاما فان كان كلام الله وكان معنى أن الله تكلم عندكم أنه خلق الـكلام فيلزمكم ان يكون الله متكلما بالـكلام الذى خلقه فى الذراع . فان أجابوا الى ذلك قيل لهم فالله عز وجل على قولـكم هو القائل لا تأكلنى فانى مسمومة تعالى الله عن قولـكم وافترائكم عليه علواً كبيرا وان قالوا لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقا فى ذراع » قيل لهم » و لذلك لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقا فى شجرة ».

---

(١) هكذا فى الاصل ولعله و يلزمهم على زعمهم هذا الخ

■جواب■ ثم يسئلون عن الكلام الذى انطق الله به الذئب لما أخبر عن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم فيقال لهم اذا كان الله عز وجل يتكلم بكلام يخلقه فى غيره فما أنكرتم أن يكون الكلام الذى سمعه من الذئب كلاما لله ويكون اعجازه يدل على انه كلام الله و فى هذا مايجب عليهم ان الذئب لم يتكلم به وانه كلام الله عز وجل لان كون الكلام من الذئب معجز كما أن كونه من الشجرة معجز فان كان الذئب متكلما بذلك الكلام المفعول فما أنكرتم أن الشجرة متكلمة بالكلام ان كان خلق فى شجرة وأن يكون المخلوق كما قال ياموسى انى أنا الله عز وجل تعالى الله عن ذلك علوآ كبيرا

■جواب■ ثم يقول لهم اذا كان كلام الله عز وجل مخلوقا فى غيره عندكم فما يؤمنكم ان يكون كل كلام تسمعونه مخلوقا فى شىء وهو حق بان يكون كلام لله عز وجل ؟ فان قالوا : لاتكون الشجرة متكلمة لان المتكلم لايكون الاحياً قيل لهم ولايجوز خلق الكلام فى شجرة لان من خلق الكلام فيه لايكون الا حيا فان جاز ان يخلق الكلام فيما ليس بحى فلم لا يجوز أن يتكلم من ليس بحى ؟ و يقال لهم ألا قلتم انه يقول من ليس بحى لانه عز وجل اخبر ان السموات والارض قالتا اتينا طائعين

■جواب■ : ثم يقال لهم أليس قد قال الله عز وجل لابليس وان عليك لعنتى الى يوم الدين ؟ فلا بد من نعم :ويقال لهم فاذا كان كلام الله مخلوقا وكانت المخلوقات فانيات فيلزمكم اذا أفنى الله عز وجل الاشياء أن تكون اللعنة على ابليس قد فنيت فيكون ابليس غير ملعون وهذا ترك دين المسلمين ورد لقول الله عز وجل وان عليك لعنتى الى يوم الدين واذا كانت اللعنة باقية على ابليس الى يوم الدين وهو يوم الجزاء وهو يوم القيامة لان الله عز وجل قال (مالك يوم الدين) يعنى يوم الجزاء ثم هى ابدا فى النار :واللعنة كلام الله وهو قوله عليك لعنتى فقد وجب ان يكون كلام الله عز وجل لا يجوز عليه الفناء وانه غير مخلوق لان المخلوقات يجوز عليها العدم فاذا لم يجز ذلك على كلام الله عز وجل فهو غير مخلوق

■ الرد على الجهمية ■

ثم يقال لهم اذا كان غضب الله غير مخلوق وكذلك رضاه وسخطه فلم لاقلتم

ان كلامه غير مخلوق ؟ ومن زعم ان غضب الله مخلوق لزمه ان غضب الله وسخطه على الكافرين يفنى وان رضاه عن الملائكة والنبيين يفنى حتى لا يكون راضيا عن أوليائه و لا ساخطا على أعدائه وهذا هو الخروج عن الاسلام . و يقال خبرونا عن قول الله عز وجل انما قولنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون أتزعمون أن قوله للشيء كن مخلوق مراد لله ؟ فان قالوا لا قيل لهم فما أنكرتم ان يكون كلام الله الذى هو القرآن غير مخلوق كما زعمتم ان قول الله للشيء كن غير مخلوق وان زعموا ان قول الله للشيء كن مخلوق قيل لهم فان زعمتم انه مخلوق مراد فقل قال الله عز وجل (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) . فيلزمكم ان قوله للشيء كن قد قال له كن. و فى هذا مايجب احد امرين اما ان يكون قول الله لغيره كن غير مخلوق او يكون لكل قول قول لا الى غاية وذلك محال . فان قالوا ان لله قولا غير مخلوق قيل لهم فما أنكرتم أن تكون أرادة الله للايمان غير مخلوقة ثم يقال لهم . ما العلة لما قلتم ان قول الله للشيء كن غير مخلوق؟ فان قالوا لان القول لا يقال له كن فيقال لهم والقرآن غير مخلوق لانه قول الله والله لا يقول لقوله كن .

■ الرد على الجهمية ■

و يقال لهم اليس لم يزل الله عالما باوليائه واعدائه ؟ فلا بد من نعم . قيل لهم فهل تقولون إنه لم يزل مريدا للتفرقة بين اوليائه واعدائه ؟ . فان قالوا نعم . قيل لهم فاذا كانت ارادة الله لم تزل فهى غير مخلوقة واذا كانت ارادته غير مخلوقة فلم لا قلتم ان كلامه غير مخلوق ؟ فان قالوا لا . نقول لم يزل مريدا للتفريق بين اوليائه واعدائه فقد زعموا ان الله لا يريد التفريق بين أوليائه واعدائه ونسبوه سبحانه الى النقص تعالى عن قول القدرية علواً كبيرا .

■ جواب ■ و يقال لهم ان الشيء المخلوق اما ان يكون بدنا من الابدان شخصا من الاشخاص او يكون نعتا من نعوت الاشخاص فلا يجوز ان يكون كلام الله شخصا لان الاشخاص يجوز عليها الاكل والشرب والنكاح ولا يجوز ذلك على كلام الله عز وجل و لا يجوز أن يكون كلام الله نعتا لشخص مخلوق لان

النعوت لا تبقى طرفة عين لانها لا تحتمل البقاء وهذا يوجب أن يكون كلام الله قد فنى ومضى فلما لم يجز أن يكون شخصا و لا نعتا لشخص لم يجز ان يكون مخلوقا على ان الاشخاص يجوز ان تموت فمن اثبت كلام الله شخصا مخلوقا لزمه ان يجوز الموت على كلام الله عز وجل وذلك مما لايجوز: وايضا فلا يجوز ان يكون كلام الله مخلوقا فى شخص مخلوق كما لا يجوز أن يكون نعتا لشخص مخلوق ولوكان مخلوقا فى شخص ككلام الانسان مفعولا فيه كان لا يمكن التفريق بين كلام الله وكلام الخلق اذا كانا مخلوقين فى شخص مخلوق كما لايجوز ان يكون علمه مخلوقا فى شخص مخلوق.

■جواب■ ويقال لهم ايضا لوكان كلام الله مخلوقا لكان جسما اونعتا لجسم ولو كان جسما لجاز ان يكون متكلما والله قادر على قلبها وفى هذا ما يلزمهم: و يجب عليهم ان يجوزوا ان يقلب الله القرآن انسانا اوجنيا اوشيطانا تعالى الله عز وجل ان يكون كلامه كذلك ولو كان نعتا لجسم كالنعوت فالله قادر ان يجعلها اجساما فكان يجب على الجهمية ان يجوزوا ان يجعل الله القرآن جسما متجسدا يأكل ويشرب وان يجعله انسانا ويميته وهذا مالا يجوز على كلامه عز وجل.

■ باب ما ذكر من الرواية فى القرآن ■

■مسئلة■ قال أبو بكر أتيت أنا والعباس بن عبد العظيم العنبرى أبا عبد الله فسال العباس بن عبد العظيم أبا عبد الله احمد بن حنبل فقال له قوم هاهنا قد حدثوا يقولون القرآن لامخلوق ولاغير مخلوق هؤلاء اضر من الجهمية على الناس ويلكم فان لم تقولوا ليس مخلوقا فقولوا مخلوق: قال ابوعبدالله هؤلاء قوم سوء: فقال العباس ماتقول ياأبا عبد الله فقال الذى أعتقد وأذهب اليه ولا شك فيه أن القرآن غير مخلوق ثم قال سبحان الله ومن شك فى هذا؟ ثم تكلم أبو عبدالله مستعظما للشك فى ذلك فقال سبحان الله أفى هذا شك؟ قال الله تبارك وتعالى (ألا له الخلق والأمر) وقال تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الانسان) ففرق بين الانسان وبين القرآن. فقال علم خلق فجعل يعيدها علم خلق اى فرق بينهما: قال ابو عبد الله القرآن من علم الله ألا تراه يقول علم القرآن والقرآن فيه اسماء الله عز وجل اى شيء يقولون؟ الا يقولون ان اسماء الله غير مخلوقة لم يزل الله قديرا

عليما عزيزا حكيما سميعـا بصيرا ؟ لسنا نشك ان اسماء الله عز وجل غير مخلوقة لسنا نشك ان علم الله غير مخلوق فالقرآن من علم الله وفيه اسماء الله فلا نشك انه غير مخلوق وهو كلام الله عز وجل ولم يزل الله به متكلما ثم قال وأى كفر أ كفر من هذا ؟ أوأى كفر أشر من هذا ؟ اذازعموا ان القرآن مخلوق فقد زعموا ان اسماء الله مخلوقة وان علم الله مخلوق ولكن الناس يتهاونون بهذا و يقولون انما يقولون القرآن مخلوق ويتهاونون ويظنون انه هين ولا يدرون مافيه وهو الكفر وأنا أكره ان ابوح بهذا لكل احدوهم يسألون وأنا أكره الكلام فى هذا فبلغنى انهم يدعون انى أمسك فقلت له فمن قال القرآن مخلوق ولا يقولون ان أسماء الله مخلوقة ولا علمه ولم يزد على هذا أقول هوكافر فقال هكذا هو عندنا ثم قال ابو عبد الله نحن لا نحتاج ان نشك فى هذا القرآن عندنا فيه أسماء الله وهو من علم الله فمن قال لنا انه مخلوق فهو عندنا كافر فجعلت أردد عليه فقال لى العباس وهو يسمع سبحان الله اما يكفيك دون هذا ؟ فقال ابو عبد الله بلى: وذكر الحسين ابن عبد الاول قال سمعت وكيعا يقول من قال القرآن مخلوق فهو مرتد يستتاب فان تاب والا قتل . وذكر محمد بن الصباح البزار قال على بن الحسين بن سفيان قال سمعت ابن المبارك يقول انا نستطيع ان نحكى كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع ان نحكى كلام الجهمية قال محمد يقول نخاف ان نكفر ولا نعلم . وذكر هارون بن اسحاق الهمدانى عن ابى نعيم عن سليمان بن عيسى القارى عن سفيان الثورى قال لى حماد بن ابى سليمان بلغ ابا حنيفة المشرك انى منه برىء قال سليمان ثم قال سفيان لانه كان يقول القرآن مخلوق . وذكر سفيان بن وكيع قال سمعت عمر بن حماد بن ابى حنيفة قال اخبرنى ابى قال الكلام الذى استتاب فيه ابن ابى ليلى ابا حنيفة هو قوله القرآن مخلوق قال فتاب منه وطاف به فى الخلق قال ابى فقلت له كيف صرت الى هذا قال خفت والله ان يقدم على فأعطيته التقية . وذكر هارون بن اسحاق قال سمعت اسمعيل بن ابى الحكم يذكر عن عمر بن عبيد الطنافسى ان حمادا يعنى ابن ابى سليمان بعث الى ابى حنيفة انى برىء مما تقول الا ان تتوب وكان عنده ابن ابى عنبة قال فقال أخبرنى جارك ان ابا حنيفة دعاه الى ما استتيب منه بعد ما استتيب . وذكر عن ابى يوسف قال ناظرت ابا حنيفة

شهرين حتى رجع عن خلق القرآن ، وقال سليمان بن حرب القرآن غير مخلوق واخبر به من كتاب الله تعالى قال الله عز وجل (لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم) ، وكلام الله ونظره واحد يعني غير مخلوق ، وذكر حسين بن عبد الأول قال محمد ابن الحسين ابي يزيد الهمداني عن عمرو بن قيس عن ابي قيس الملائى عن عطية عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل كلام الله عز وجل على سائر الكلام كفضل الله على خلقه . فهذا يثبت ان القرآن كلام الله عز وجل وما كان كلام الله لم يكن خلقا لله وقد بين الله ان القرآن كلامه بقوله عز وجل حتى يسمع كلام الله . ودل على ذلك فى مواضع من كتابه وقد قال الله عز وجل مخبرا ان الله كلم موسى تكليما ، وروى وكيع عن الأعمش عن خيثمة عن عدى بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ومما يبين ان الله عز وجل متكلم وأن له كلاما مارواه عفان قال حماد بن سلمة عن الأشعث الحرانى عن شهر بن حوشب قال فضل كلام الله عز وجل على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وروى يعلى بن المنهال السعدى قال اسحاق بن سليمان الرازى قال الجراح بن الضحاك الكندى عن علقمة بن مرثد عن أبى عبد الرحمن السلمى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه وقال ان فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وذلك انه منه . وذكر سنيد ابن داود قال أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله تعالى (ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله) الآية وذكر هرون بن معروف قال جرير بن منصور عن هلال بن يساف عن فروة بن نوفل قال كنت جارا لخباب بن الارت فقال لى ياهذا تقرب الى الله عز وجل بما استطعت ولن يتقرب الى الله بشىء أحب اليه من كلامه ، وروى عن ابن عباس فى قوله عز وجل (قرآنا عربيا غير ذى عوج) قال غير مخلوق ، وذكر الليث بن يحيى قال حدثنى ابراهيم بن الاشعث قال سمعت مؤمل بن اسمعيل عن الثورى قال من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر وصحت الرواية عن جعفر بن محمد أن القرآن لاخالق ولا مخلوق وروى ذلك عن عمه زيد بن على وعن جده على بن الحسين

ومن قال ان القرآن غير مخلوق وان من قال بخلقه كافر من العلماء وحملة الآثار ونقلة الأخبار لا يحصون كثرة منهم الحمادان والثورى وعبد العزيز بن أبى سلمة ومالك بن أنس والشافعى وأصحابه والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وهشام وعيسى بن يونس وحفص بن غياث وسعد بن عامر وعبد الرحمن بن مهدى وأبو بكر بن عياش ووكيع وابو عاصم النبيل ويعلى بن عبيد ومحمد بن يوسف وبشر بن المفضل وعبد الله بن داود وسلام بن أبى مطيع وابن المبارك وعلى بن عاصم وأحمد بن يونس وابو نعيم وقبيصة بن عقبة وسليمان بن داود وأبو عبيد القاسم بن سلام ويزيد بن هارون وغيرهم ولو تتبعنا ذكر من يقول بذلك لطال الكلام بذكرهم وفيما ذكرنا من ذلك مقنع والحمد لله رب العالمين: وقد احتججنا لصحة قولنا أن القرآن غير مخلوق من كتاب الله عز وجل وما تضمنه من البرهان وأوضحه من البيان ولم نجد أحدا ممن تحمل عنه الآثار وتنقل عنه الاخبار ويأتم به المؤتمون من أهل العلم يقول بخلق القرآن وانما قال ذلك رعاع الناس وجهال من جهالهم لاموقع لقولهم والحجاج الذى قد مناه فى ذلك يأتى على كثير من قولهم ودفع باطلهم والحمد لله على قوة الحق حمدا كثيرا .

■ باب الكلام على من وقف فى القرآن وقال لاأقول إنه مخلوق ولا أقول انه غير مخلوق ■

■ جواب ■ : يقال لهم لمزعمتم ذلك وقلتموه ؟ فان قالوا . قلنا ذلك لأن الله لم يقل فى كتابه انه مخلوق ولا قاله رسول الله ولا أجمع المسلمون عليه ولم يقل فى كتابه انه غير مخلوق ولا قال ذلك رسوله ولا أجمع عليه المسلمون فوقفنا لذلك ولم نقل إنه مخلوق ولا انه غير مخلوق . يقال لهم . فهل قال الله عز وجل لكم فى كتابه قفوا فيه ولا تقول غير مخلوق وقال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم توقفوا عن أن تقولوا انه غير مخلوق . وهل أجمع المسلمون على التوقف عن القول انه غير مخلوق ؟ . فان قالوا نعم بهتوا . وان قالوا لا . قيل لهم فلا تقفوا عن أن تقولوا غير مخلوق بمثل الحجة التى بها ألزمتم أنفسكم التوقف . ثم يقال لهم . ولم أبيتم أن يكون فى كتاب الله مايدل على أن القرآن غير مخلوق ؟ . فان قالوا لم نجده . قيل لهم ولم زعمتم أنكم اذا لم تجدوه فى القرآن

فليس موجودا فيه ؟ ثم انا نوجدهم ذلك ونتلوا عليهم الآيات التى احتججنا بها فى كتابنا هذا واستدللنا على أن القرآن غير مخلوق كقوله عزوجل (ألا له الخلق والأمر) . وكقوله (انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وكقوله (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى) . وسائر مااحتججنا فى ذلك من آى القرآن ويقال لهم يلزمكم أن تقفوا فى كل مااختلف الناس فيه ولا تقدموا فى ذلك على قول فان جازلكم أن تقولوا ببعض تأويل المسلمين اذا دل على صحتها دليل فلم لاتقولون ان القرآن غير مخلوق بالحجج التى ذكرناها فى كتابنا هذا قبل هذا الموضع ؟ .

■ سؤال ■ : فان قال قائل ، حدثونا أتقولون ان كلام الله فى اللوح المحفوظ؟ قيل له ، كذلك نقول لان الله عز وجل قال بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ فالقرآن فى اللوح المحفوظ وهو فى صدور الذين اوتوا العلم قال الله عز وجل (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) . وهو متلو بالألسنة قال الله تعالى (لاتحرك به لسانك) . والقرآن مكتوب فى مصاحفنا فى الحقيقة ؛ محفوظ فى صدورنا فى الحقيقة ؛ متلو بالسنتنا فى الحقيقة : مسموع لنا فى الحقيقة كما قال عز وجل (فأجره حتى يسمع كلام الله) .

■ سؤال ■ فان قال . حدثونا عن اللفظ بالقرآن كيف تقولون فيه ؟ قيل له القرآن يقرأ فى الحقيقة و يتلى و لايجوز أن يقال يلفظ لأن القائل لايجوز له أن يقول انه كلام ملفوظ به لأن العرب اذا قال قائلهم لفظت باللقمة من فمى معناه رميت بها وكلام الله عز وجل لايقال يلفظ به وانما يقال يقرأ و يتلى ويكتب ويحفظ وانما قال قوم لفظنا بالقرآن ليثبتوا أنه مخلوق و يزينوا بدعتهم وقولهم بخلقه فدلسوا كفرهم على من لم يقف على معناهم فلما وقفنا على معناهم أنكرنا قولهم ولايجوز أن يقال إن شيئا من القرآن مخلوق لأن القرآن بكماله غير مخلوق

■ سؤال ■ : ان قال قائل . أليس قد قال الله تعالى (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون) ؟ قيل له . الذكر الذى عناه الله عزوجل ليس هو القرآن بل هو كلام الرسول عليه السلام ووعظه اياهم وقد قال الله تعالى لنبيه (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) . وقد قال الله تعالى (ذكرا رسولا)

فسمى الرسول ذكرا والرسول محدث وأيضا فان الله عز وجل قال (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون) * يخبر أنهم لا يأتيهم ذكر محدث الا استمعوه وهم يلعبون ولم يقل لا يأتيهم ذكر الا كان محدثا واذا لم يقل هذا لم يوجب أن يكون القرآن محدثا : ولو قال قائل ما يأتيهم رجل من التميميين يدعوهم الى الحق الا أعرضوا عنه لم يوجب هذا القول انه لا يأتيهم رجل الا كان تميميا فكذلك القول فيما سألونا عنه *

■سؤال■ : وان سألونا عن قول الله عز وجل (قرآنا عربيا) * قيل لهم الله عز وجل أنزله وليس مخلوقا * فان قالوا فقد قال الله وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد والحديد مخلوق * قيل لهم الحديد جسم موات وليس يجب اذا كان القرآن منزلا ان يكون جسما مواتا ولذلك لا يجب اذا كان القرآن منزلا ان يكون مخلوقا وان كان الحديد مخلوقا *

■جواب■ : ويقال لهم قد امرنا الله عز وجل ان نستعيذ به وهو غير مخلوق وامر ان نستعيذ بكلمات الله التامات واذا لم نؤمر ان نستعيذ بمخلوق من المخلوقات وامرنا ان نستعيذ بكلام الله فقد وجب ان كلام الله غير مخلوق *

■ باب ذكر الاستواء على العرش ■

ان قال قائل * ما تقولون فى الاستواء ؟ قيل له نقول ان الله عز وجل مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وقد قال الله عز وجل (اليه يصعد الكلم الطيب) . وقال بل رفعه الله اليه . وقال عز وجل يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه * وقال حكاية عن فرعون (يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا) فكذب فرعون نبى الله موسى عليه السلام فى قوله ان الله عز وجل فوق السموات وقال عز وجل (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض) * فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات قال أأمنتم من فى السماء لانه مستو على العرش الذى فوق السموات وكل ما علا فهو سماء فالعرش أعلى السموات وليس اذا قال أأمنتم من فى السماء يعنى جميع السموات السماء وانما أراد العرش الذى هو أعلى السموات ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات فقال وجعل القمر

فيهن نورا * ولم يرد أن القمر يملأهن جميعا وانه فيهن جميعا ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم اذا دعوا نحو السماء لأن الله عز وجل مستو على العرش الذى هو فوق السموات فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لايحطونها اذا دعوا الى الارض *

■سؤال■ وقدقال قائلون * من المعتزلة والجهمية والحرورية ان قول الله عز وجل الرحمن على العرش استوى انه استولى وملك وقهر وان الله عز وجل فى كل مكان وجحدوا أن يكون الله عز وجل على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا فى الاستواء الى القدرة ولو كان هذا كما ذكروه كان لافرق بين العرش والارض فالله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما فى العالم فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الاشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الارض وعلى السماء وعلى الحشوش والافراد لانه قادر على الاشياء مستول عليها واذا كان قادرا على الاشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول ان الله عز وجل مستو على الحشوش والاخلية لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذى هو عام فى الاشياء كلها ووجب أن يكون معناه استواء يختص العرش دون الاشياء كلها * وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله عز وجل فى كل مكان فلزمهم أنه فى بطن مريم وفى الحشوش والاخلية وهذا خلاف الدين تعالى الله عن قولهم *

■جواب■ : ويقال لهم اذا لم يكن مستويا على العرش بمعنى يختص العرش دون غيره كما قال ذاك أهل العلم ونقلة الآثار وحملة الاخبار وكان الله عز وجل فى كل مكان فهو تحت الارض التى السماء فوقها واذا كان تحت الارض والارض فوقه والسماء فوق الارض ففى هذا ما يلزمكم أن تقولوا ان الله تحت التحت والاشياء فوقه وانه فوق الفوق والاشياء تحته وفى هذا ما يجب انه تحت ما هو فوقه وفوق ما هو تحته وهذا المحال المتناقض تعالى الله عن افترائكم عليه علواً كبيرا *

■دليل آخر■ : ومما يؤكد أن الله عز وجل مستو على عرشه دون الاشياء كلها ما نقله أهل الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى

عفان عن حماد بن سلمة قال ثنا عمرو بن دينار عن نافع بن جبير عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم «قال ينزل الله عز وجل كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فاعطيه هل من مستغفر فاغفرله حتى يطلع الفجر»؟ * وروى عبد الله بن بكر قال ثنا هشام بن أبى عبد الله عن يحى بن أبى كثير عن أبى جعفر أنه سمع أبا جعفر أنه سمع أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا بقى ثلث الليل ينزل الله تبارك وتعالى فيقول من ذا الذى يدعونى فاستجيب له ؟ من ذا الذى يستكشف الضر فا كشفه عنه ؟ من ذا الذى يسترزقنى فأرزقه حتى ينفجر الفجر» * وروى عن عبد الله بن بكر السهمى قال ثنا هشام بن أبى عبد الله عن يحى بن أبى كثير عن هلال بن أبى ميمونة قال ثنا عطاء بن يسار أن رفاعة الجهنى حدثه قال قفلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا دنا بالكديد او قال بقديد لحمد الله وأثنى عليه ثم قال « اذا مضى ثلث الليل أو قال ثلثا الليل نزل الله عز وجل الى السماء فيقول من ذا الذى يدعونى استجب له ؟ من ذا الذى يستغفرنى اغفرله ؟ من ذا الذى يسألنى اعطه حتى ينفجر الفجر» *

■ دليل آخر ■ وقال الله عز وجل (يخافون ربهم من فوقهم) وقال (تعرج الملائكة والروح اليه) * وقال (ثم استوى الى السماء وهى دخان) * وقال (ثم استوى على العرش فاسأل به خبيرا) وقال (ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع) * فكل ذلك يدل على أنه تعالى فى السماء مستو على عرشه : والسماء باجماع الناس ليست الارض فدل على أن الله تعالى منفرد بوحدانيته مستو على عرشه *

■ دليل آخر ■ وقال جل وعز (وجاء ربك والملك صفا صفا) * وقال (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام) * وقال (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ماأوحى ما كذب الفؤاد مارأى أفتمارونه على ما يرى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى) * وقال عز وجل لعيسى بن مريم عليه السلام (انى متوفيك ورافعك الى) * وقال (وماقتلوه يقينا بل رفعه الله اليه) * وأجمعت الأمة على أن الله عز وجل رفع عيسى الى السماء :ومن دعاء أهل الاسلام جميعا اذاهم رغبوا الى الله عز وجل فى الامر النازل بهم يقولون جميعا

يا ساكن العرش ومن حلفهم جميعا لاوالذى احتجب بسبع سموات *

■دليل آخر■ وقال الله عز وجل (وما كان لبشر أن يكلمه الله الاوحيا أومن وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء) وقد خصت الآية البشر دون غيرهم ممن ليس من جنس البشر ولو كانت الآية عامة للبشر وغيرهم كان أبعد من الشبهة وادخال الشك على من يسمع الآية أن يقول ما كان لأحد أن يكلمه الله الاوحيا أومن وراء حجاب أو يرسل رسولا فيرتفع الشك والحيرة من أن يقول ما كان لجنس من الاجناس أن أكلمه الاوحيا أومن وراء حجاب أو أرسل رسولا وننزل أجناسا لم يعمهم بالآية فدل ماذكرنا على أنه خص البشر دون غيرهم *

■دليل آخر■ وقال عزوجل (ثم ردوا الى الله مولاهم الحق) * وقال (ولوترى اذوقفوا على ربهم) وقال (ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم) * وقال عزوجل (وعرضوا على ربك صفا) * كل ذلك يدل على أنه ليس فى خلقه ولا خلقه فيه وانه مستوعلى عرشه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا * فلم يثبتوا لهم فى وصفهم حقيقة ولا أوجبوا لهم الذين يثبتون له بذكرهم اياه وحدانية اذ كل كلامهم يؤول الى التعطيل وجميع أوصافهم تدل على النفى أتر يدون بذلك زعم التنزيه ونفى التشبيه ؟ فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفى او التعطيل *

■ دليل آخر■ قال الله عزوجل (الله نور السموات والأرض) فسمى نفسه نورا والنور عند الامة لا يخلو من ان يكون احد معنيين اما ان يكون نورا يسمع أو نورا يرى فمن زعم أن الله يسمع ولا يرى فقد أخطأ فى نفيه رؤية ربه وتكذيبه بكتابه وقول نبيه صلى الله عليه وسلم وروت العلماء عن عبد الله بن عباس انه قال تفكروا فى خلق الله عز وجل ولا تفكروا فى الله عز وجل فان بين كرسيه الى السماء الف عام والله عز وجل فوق ذلك *

■دليل آخر■ وروت العلماء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد لا تزول قدماه من بين يدى الله عز وجل حتى يسأله عن عمله : وروت العلماء ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم بامة سوداء فقال يارسول الله انى اريد ان اعتقها فى كفارة فهل يجوز عتقها فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم

أين الله؟ قالت في السماء قال فمن أنا؟ قالت أنت رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعتقها فانها مؤمنة * وهذا يدل على ان الله عز وجل على عرشه فوق السماء *

باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين

قال الله تبارك وتعالى (كل شيء هالك الا وجهه) * وقال عز وجل (و يبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) * فاخبر ان له وجها لا يفنى و لا يلحقه الهلاك وقال عز وجل (تجري باعيننا) * وقال (واصنع الفلك باعيننا و وحينا) * فاخبر عز وجل ان له وجها وعينا لا يكيف ولا يحد: وقال عز وجل (فاصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) وقال (ولتصنع على عيني) * وقال وكان الله عز وجل سميعا بصيرا * وقال لموسى وهرون انني معكما أسمع وارى * فاخبر عن سمعه و بصره و رؤيته ونفت الجهمية ان يكون لله وجه كما قال وابطلوا ان يكون له سمع و بصر وعين و وافقوا النصارى لأن النصارى لم تثبت الله سميعا بصيرا الا على معنى انه عالم وكذلك قالت الجهمية ففي الحقيقة قول الجهمية انهم قالوا نقول ان الله عالم و لا نقول سميع بصير على غير معنى عالم وكذلك قول النصارى * وقالت الجهمية ان الله لا علم له و لا قدرة و لا سمع له ولا بصر وانما قصدوا الى تعطيل التوحيد والتكذيب باسماء الله عز وجل فاعطوا ذلك لفظا ولم يحصلوا قولا في المعنى ولو لا انهم خافوا السيف لأفصحوا بأن الله غير سميع و لا بصير ولا عالم ولكن خوف السيف منعهم من اظهار زندقتهم: و زعم شيخ منهم مقدم فيهم ان علم الله هو الله وان الله عز وجل علم فنفى العلم من حيث أوهم أنه أثبته حتى الزم أن يقول ياعلم اغفرلي اذ كان علم الله عنده هو الله وكان الله على قياسه علما وقدرة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا * قال أبو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري بالله نستهدي واياه نستكفي و لا حول و لا قوة الا بالله وهو الله المستعان * أما بعد فمن سألنا فقال أتقولون ان لله سبحانه وجها؟ قيل له * نقول ذلك خلافا لما قاله المبتدعون وقد دل على ذلك قوله عز وجل (و يبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) *

سؤال فان سئلنا أتقولون ان لله يدين؟ قيل نقول ذلك وقد دل عليه قوله عز وجل (يد الله فوق أيديهم) وقوله عز وجل (لما خلقت بيدي) * و روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه

ذريته» . فثبتت اليد وقوله عز وجل (لما خلقت بيدى) . وقد جاء فى الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده . وقال عز وجل (بل يداه مبسوطتان) . وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (كلتا يديه يمين) . وقال عز وجل (لأخذنا منه باليمين) وليس يجوز فى لسان العرب ولا فى عادة أهل الخطاب أن يقول القائل عملت كذا بيدى ويعنى به النعمة واذا كان الله عز وجل انما خاطب العرب بلغتها وما يجرى مفهوما فى كلامها ومعقولا فى خطابها وكان لايجوز فى لسان أهل البيان ان يقول القائل فعلت بيدى ويعنى النعمة بطل أن يكون معنى قوله عز وجل بيدى النعمة وذلك انه لايجوز أن يقول القائل لى عليه يد بمعنى لى عليه نعمة ومن دافعنا عن استعمال اللغة ولم يرجع الى أهل اللسان فيها دفع عن أن تكون اليد بمعنى النعمة اذ كان لايمكنه أن يتعلق فى أن اليد النعمة الامن جهة اللغة فاذا دفع اللغة لزمه أن لا يفسر القرآن من جهتها وان لا يثبت اليد نعمة من قبلها لأنه ان رجع فى تفسير قول الله عز وجل بيدى نعمتى الى الاجماع فليس المسلمون على ما ادعى متفقين وان رجع الى اللغة فليس فى اللغة أن يقول القائل بيدى يعنى نعمتى وان لجأ الى وجه ثالث سألناه عنه ولن يجد اليه سبيلا .

■ سؤال ■ ويقال لأهل البدع لم زعمتم أن معنى قوله بيدى نعمتى أزعمتم ذلك اجماعا أو لغة ؟ فلا يجدون ذلك فى الاجماع ولا فى اللغة وان قالوا قلنا ذلك من القياس . قيل لهم . ومن أين وجدتم فى القياس أن قول الله بيدى ولا يكون معناه الا نعمتى ؟ ومن أين يمكن أن يعلم بالعقل أن يفسر كذا وكذا مع أنا رأينا الله عز وجل قد قال فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) . وقال (لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) . وقال (وجعلناه قرآنا عربيا) . وقال (أفلا يتدبرون القرآن) . ولو كان القرآن بلسان غير العرب لما أمكن أن نتدبره ولا أن نعرف معانيه اذا سمعناه فلما كان من لايحسن لسان العرب لايحسنه وانما يعرفه العرب اذا سمعوه علم أنهم انما علموه لانه بلسانهم نزل وليس فى لسانهم ما ادعوه .

■ سؤال ■ وقد اعتل معتل بقول الله عز وجل (والسماء بنيناها بايد) *
قالوا الأيدى القوة أن يكون معنى قوله بيدى بقدرتى .. وقيل لهم هذا التأويل فاسد من وجوه آخرها أن الأيدى ليس بجمع لليد لان جمع يد التى هى نعمة أيادى وانما قال (لما خلقت بيدى) فبطل بذلك أن يكون معنى قوله بيدى معنى قوله بنيناها بايد وأيضا فلو كان أراد القوة لكان معنى ذلك بقدرتى وهذا ناقض لقول مخالفنا وكاسر لمذاهبهم لانهم لا يثبتون قدرة واحدة فكيف يثبتون قدرتين وأيضا فلو كان الله عز وجل عنى بقوله لما خلقت بيدى القدرة لم يكن لآدم عليه السلام على ابليس فى ذلك مزية والله عز وجل أراد أن يرى فضل آدم عليه السلام اذ خلقه بيده دونه ولو كان خالقا لابليس بيديه كما خلق آدم عليه السلام بيديه لم يكن لتفضيله عليه بذلك وجه وكان ابليس يقول محتجا على ربه فقد خلقتنى بيديك كما خلقت آدم بهما فلما أراد الله عز وجل تفضيله عليه بذلك قال له موبخا على استكباره على آدم أن يسجد له (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت؟): دل على انه ليس معنى الآية القدرة اذا كان الله عز وجل خلق الاشياء جميعا بقدرته : وانما أراد اثبات يدين ولم يشارك ابليس آدم عليه السلام فى ان خلق بهما *
وليس يخلو قوله عز وجل (لما خلقت بيدى) ان يكون معنى ذلك اثبات يدين نعمتين أو يكون معنى ذلك اثبات يدين جارحتين أو يكون معنى ذلك اثبات يدين قدرتين أو يكون معناه اثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين ولا قدرتين لا يوصفان الا كما وصف الله عز وجل فلا يجوز أن يكون معنى ذلك نعمتين لانه لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول القائل عملت بيدى وهو يعنى نعمتى ولا يجوز عندنا ولا عند خصومنا أن نعنى جارحتين ولا يجوز عند خصومنا أن نعنى قدرتين واذا فسدت الاقسام الثلاثة صح القسم الرابع وهو ان معنى قوله بيدى اثبات يدين ليستا جارحتين ولا قدرتين ولا نعمتين لا يوصفان الا بان يقال انهما يدان ليستا كالايدى خارجتان عن سائر الوجوه الثلاثة التى سلفت *

■ سؤال ■ وأيضا فلو كان معنى قوله عز وجل بيدى نعمتى لكان لا فضيلة لآدم عليه السلام على ابليس فى ذلك على مذاهب مخالفنا لان الله عز وجل قد ابتدأ ابليس على قولهم كما ابتدأ بذلك آدم عليه السلام وليس يخلو النعمتان ان

يكون عنى بهما بدن آدم عليه السلام او يكونا عرضين خلقا فى بدن آدم فلو كان عنى بدن آدم فالأبدان عند مخالفنا من المعتزلة جنس واحد واذا كانت الأبدان عندهم جنسا واحدا فقد حصل فى جسد ابليس على مذاهبهم من النعمة ماحصل فى جسد آدم عليه السلام وكذلك ان عنى غرضين فليس من عرض فعله فى بدن آدم من لون او حياة او قوة او غير ذلك الا وقد فعل من جنسه عندهم فى بدن ابليس وهذا يوجب انه لافضيلة لآدم عليه السلام على ابليس فى ذلك: والله عزيز وانما احتج على ابليس بذلك ليريه ان لآدم عليه السلام فى ذلك الفضيلة فدل ماقلناه على ان الله عز وجل لما قال (لما خلقت بيدى) لم يعن نعمتى ॰

■ جواب ■ ويقال لهم لم انكرتم ان يكون الله عز وجل عنى بقوله يدى يدين ليستا نعمتين ؟ فان قالوا ॰ لان اليد اذا لم تكن نعمة لم تكن الا جارحة ॰ قيل لهم ولم قضيتم ان اليد اذا لم تكن نعمة لم تكن الا جارحة ؟ فان رجعونا الى شاهدنا والى مانجده فيما بيننا من الخلق فقالوا اليد اذا لم تكن نعمة فى الشاهد لم تكن الا جارحة ॰ قيل لهم ان عملتم على الشاهد وقضيتم به على الله عز وجل فكذلك لم نجد حيا من الخلق الا جسما لحما ودما فاقضوا بذلك على الله عز وجل والا فانتم لقولكم متأولين ولاعتلالكم ناقضين وان أثبتم حيا لا كالاحياء منا فلم انكرتم ان تكون اليدان اللتان اخبر الله عز وجل عنهما يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين ولا كالايدى؟ وكذلك يقال لهم لم تجدوا مدبرا حكيما الا انسانا ثم اثبتم ان للدنيا مدبرا حكيما ليس كالانسان وخالفتم الشاهد ونقضتم اعتلالكم فلا تمنعوا من اثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين من أجل أن ذلك خلاف الشاهد ॰

■ سؤال ■ فان قالوا اذا أثبتم لله يدين لقوله لما خلقت بيدى فلم ما اثبتم له أيديا لقوله مما عملت ايدينا ؟ قيل لهم ॰ قد اجمعوا على بطلان قول من اثبت لله ايديا فلما اجمعوا على بطلان قول من قال ذلك وجب ان يكون الله عز وجل ذكر أيد ورجع الى اثبات يدين لأن الدليل قد دل على صحته الاجماع واذا كان الاجماع صحيحا وجب ان يرجع من قوله ايد الى يدين لان القرآن على ظاهره ولا نزول عن ظاهره الا بحجة فوجدنا حجة ازلنا بها ذكر الايدى عن الظاهر الى ظاهر ووجب ان يكون الظاهر الآخر على حقيقة لايزول عنها الا بحجة ॰

■سؤال■ : فان قال قائل ، اذا ذكر الله الايدى واراد يدين فما أنكرتم ان يذكر الايدى ويريد يداً واحدة ، قيل له ذكر الله عز وجل ايدى واراد يدين لانهم أجمعوا على بطلان قول من قال أيدى كثيرة وقول من قال يدا واحدة فقلنا يدان لان القرآن على ظاهره الا ان تقوم حجة بان يكون على خلاف الظاهر .

■سؤال■ : فان قال قائل ، ماأنكرتم ان يكون قوله (مما عملت ايدينا) وقوله (لما خلقت بيدى) على المجاز ، قيل له ، حكم كلام الله عز وجل أن يكون على ظاهره وحقيقته ولا يخرج الشيء عن ظاهره الى المجاز الا لحجة ألا ترون أنه اذا كان ظاهر الكلام العموم فاذا ورد بلفظ العموم والمراد به الخصوص فليس هو على حقيقة الظاهر وليس يجوز أن يعدل بما ظاهره العموم عن العموم بغير حجة كذلك قول الله عز وجل لما خلقت بيدى على ظاهره وحقيقته من اثبات اليدين ولا يجوز أن يعدل به عن ظاهر اليدين الى ماادعاه خصومنا الا بحجة ولو جاز ذلك لجاز لمدع أن يدعى أن ماظاهره العموم فهو على الخصوص وما ظاهره الخصوص فهو على العموم بغير حجة واذا لم يجز هذا لمدعيه بغير برهان لم يجز لكم ما ادعيتموه انه مجاز بغير حجة بل واجب أن يكون قوله لما خلقت بيدى اثبات يدين لله تعالى فى الحقيقة غير نعمتين اذا كانت النعمتان لايجوز عند أهل اللسان أن يقول قائلهم فعلت بيدى وهو يعنى النعمتين .

■ باب الرد على الجهمية فى نفيهم علم الله تعالى وقدرته وجميع صفاته ■

قال الله عز وجل (أنزله بعلمه) . وقال (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) وذكر العلم فى خمس مواضع من كتابه وقال (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) وقال (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) وذكر القوة فقال (أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) وقال (ذو القوة المتين) وقال (والسماء بنيناها بأيد) . وزعمت الجهمية أن الله عز وجل لاعلم له ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر له وأرادوا أن ينفوا أن الله عالم قادر حى سميع بصير فمنعهم خوف السيف من اظهارهم نفى ذلك فاتوا بمعناه لأنهم اذا قالوا لاعلم لله ولا قدرة له فقد قالوا انه ليس بعالم ولا قادر ووجب ذلك عليهم وهذا انما أخذوه

عن أهل الزندقة والتعطيل لأن الزنادقة قال كثير منهم ان الله ليس بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير فلم تقدر المعتزلة أن تفصح بذلك فاتت بمعناه وقالت ان الله عالم قادر حي سميع بصير من طريق التسمية من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم والقدرة والسمع والبصر.

■سؤال■ : وقد قال رئيس من رؤسائهم وهو أبو الهذيل العلاف أن علم الله هو الله فجعل الله عز وجل علما وألزم فقيل له اذا قلت أن علم الله هو الله فقل يا علم الله اغفر لي وارحمني فابى ذلك فلزمته المناقضة: واعلموا رحمكم الله أن من قال عالم ولا علم كان مناقضا كما أن من قال علم ولا عالم كان مناقضا وكذلك القول في القدرة والقادر والحياة والحي والسمع والبصر والسميع والبصير.

■جواب■ : ويقال لهم خبرونا عن من زعم أن الله متكلم قائل لم يزل آمراً ناهيا لا قول له ولا كلام ولا أمر له ولا نهي أليس هو مناقض خارج عن جملة المسلمين؟ فلا بد من نعم يقال لهم فكذلك من قال ان الله عالم ولا علم له كان مناقضا خارجا عن جملة المسلمين وقد أجمع المسلمون قبل حدوث الجهمية والمعتزلة والحرورية على أن لله علما لم يزل وقد قالوا علم الله لم يزل وعلم الله سابق في الاشياء ولا يمنعون أن يقولوا في كل حادثة تحدث ونازلة تنزل كل هذا سابق في علم الله فمن جحد أن لله علما خالف المسلمين وخرج به عن اتفاقهم.

■ جواب ■ ويقال لهم اذا كان الله مريدا أفله ارادة فان قالوا لا قيل لهم فاذا أثبتم مريدا لا ارادة له فأثبتوا قائلا لا قول له وان أثبتوا الارادة قيل لهم فاذا كان المريد لا يكون مريدا الا بارادة فما أنكرتم أن لا يكون العالم عالما الا بعلم وان يكون لله علم كما أثبتم له ارادة.

■ مسئلة ■ : وقد فرقوا بين العلم والكلام فقالوا ان الله عز وجل علم موسى وفرعون وكلم موسى ولم يكلم فرعون فكذلك يقال علم موسى الحكمة وفصل الخطاب وآتاه النبوة ولم يعلم ذلك فرعون فان كان لله كلام لانه كلم موسى ولم يكلم فرعون فكذلك لله علم لانه علم موسى ولم يعلم فرعون ثم يقال

لهم اذا وجب أن لله كلاما به كلم موسى دون فرعون اذا كلم موسى دونه فما أنكرتم اذا علمهما جميعا أن يكون له علم به علمهما جميعا ثم يقال قد كلم الله الاشياء بأن قال لها كونى وقد أثبتم الله قولا فكذلك وان علم الأشياء كلها فله علم.

■ جواب ■ : ثم يقال لهم اذا أوجبتم أن لله كلاما وليس له علم لأن الكلام أخص من العلم والعلم أعم منه فقولوا ان لله قدرة لأن العلم أعم عندكم من القدرة لأن من مذاهب القدرية أنهم لا يقولون ان الله يقدر ان يخلق الكفر فقد أثبتوا القدرة أخص من العلم فينبغى لهم أن يقولوا على اعتلا لهم ان لله قدرة .

﴿جواب﴾ : ثم يقال لهم أليس الله عالما والوصف له بانه عالم أعم من الوصف له بانه متكلم مكلم ؟ ثم لم يجب لان الكلام أخص من أن يكون الله متكلما غير عالم فلم لا تقولون أن الكلام وان كان أخص من العلم ان ذلك لا ينفى أن يكون لله علم كما لم ينف بخصوص الكلام أن يكون الله عالما.

■ جواب ■ : و يقال لهم من أين علمتم أن الله عالم ؟ فان قالوا بقوله عز وجل انه بكل شئ عليم قيل لهم ولذلك فقولوا ان لله علما بقوله أنزله بعلمه . وبقوله ماتحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وكذلك قوله ان له قوة لقوله (أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) وان قالوا قلنا ان الله عالم لأنه صنع العالم على مافيه من آثار الحكمة واتساق التدبير قيل لهم فلم لا تقولون ان لله علما بما ظهر فى العالم من حكمه وآثار تدبيره ؟ لأن الصنايع الحكمية لا تظهر الا من ذى علم كما لا تظهر الا من عالم وكذلك لا تظهر الا من ذى قوة كما لا تظهر الا من قادر

■ جواب ■ : و يقال لهم اذا نفيتم علم الله فهلا نفيتم أسماءه ؟ فان قالوا كيف ننفى أسماءه وقد ذكرها فى كتابه ؟ قيل لهم فلا تنفوا العلم والقوة لانه تبارك وتعالى ذكر ذلك فى كتابه

﴿جواب آخر﴾ : و يقال لهم قد علم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم الشرائع والاحكام والحلال والحرام ولا يجوز أن يعلمه مالا يعلمه فكذلك

لا يجوز أن يعلم الله نبيه مالا علم لله به تعالى الله عن قول الجهمية علواً كبيرا .

■جواب■ . و يقال لهم أليس اذا لعن الله الكافرين فلعنه لهم معنى ولعن النبي عليه السلام لهم معنى ؟ فان قالوا نعم . فيقال لهم . فما أنكرتم من أن الله اذا علم نبيه عليه الصلاة والسلام شيئا فيكون للنبي عليه الصلاة والسلام علم ولله سبحانه علم ومتى أثبتناه غضبانا على الكافرين فلا بد من اثبات غضب وكذلك اذا أثبتناه راضيا عن المؤمنين فلا بد من اثبات رضى وكذلك اذا أثبتناه حيا سميعا بصيرا فلا بد من اثبات حياة وسمع وبصر .

«جواب» : ويقال لهم وجدنا اسم عالم اشتق من علم واسم قادر اشتق من قدرة وكذلك اسم حي اشتق من حياة واسم سميع اشتق من سمع واسم بصير اشتق من بصر ولا تخلو أسماء الله عز وجل من أن تكون مشتقة أو لافادة معناه أو على طريق التلقيب فلا يجوز ان يسمى الله عز وجل على طريق التلقيب باسم ليس فيه افادة معناه وليس مشتقا من صفة . فاذا قلنا : ان الله عز وجل عالم قادر فليس ذلك تلقيبا كقولنا زيد وعمرو وعلى هذا اجماع المسلمين واذا لم يكن ذلك تلقيبا وكان مشتقا من علم فقد وجب اثبات العلم وان كان ذلك لافادة معناه فلا يختلف ماهو لافادة معناه ووجب اذا كان معنى العالم منا أن له علما أن يكون : كل عالم فهو ذو علم كما اذا كان قولى : موجود مفيدا فينا الاثبات كان البارى تعالى واجبا اثباته لأنه سبحانه وتعالى موجود

■جواب■ : ويقال للمعتزلة والجهمية والحرورية أتقولون إن لله علما بالاشياء سابقا فيها وبوضع كل حامل وحمل كل انثى وبانزال كل ماأنزل ؟ فان قالوا نعم فقد أثبتوا العلم ووافقوا وان قالوا الا قيل لهم هذا جحد منكم لقول الله عز وجل (أنزله بعلمه) ولقوله (وماتحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه) ولقوله (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) واذا كان قول الله عز وجل بكل شيء عليم وما تسقط من ورقة الا يعلمها أوجب انه عليم يعلم الاشياء كذلك فما أنكرتم أن تكون هذه الآيات توجب أن لله علما بالاشياء سبحانه وبحمده .

«جواب» : ويقال لهم لله عز وجل علم بالتفرقة بين أوليائه وأعدائه وهل هو مريد لذلك ؟ وهل له ارادة للايمان اذا أراد الايمان ؟ فان قالوا نعم فقد

وافقوا وان قالوا اذا أراد الايمان فله أرادة قيل لهم وكذلك اذا فرق بين أوليائه وأعدائه فلا بد من أن يكون له علم بذلك وكيف يجوز أن يكون للخلق علم بذلك وليس للخالق عز وجل علم بذلك ؟ هذا يوجب أن للخلق مزية فى العلم وفضيلة على الخلاق تعالى عن ذلك علواً كبيرا :ويقال لهم اذا كان من له علم من الخلق أولى بالمنزلة الرفيعة ممن لاعلم له فاذا زعمتم أن الله عز وجل لاعلم له لزمكم ان الخلق أعلى مرتبة من الخالق تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا :

■ جواب ■ : ويقال لهم اذا كان من لاعلم له من الخلق يلحقه الجهل والنقصان فما أنكرتم من أنه لابد من اثبات علم الله والا ألحقتم به النقصان جل وعز عن قولكم وعلا . ألا ترون أن من لا يعلم من الخلق يلحقه الجهل والنقصان ومن قال ذلك فى الله عز وجل وصف الله سبحانه بما لا يليق به فكذلك اذا كان من قيل له من الخلق لاعلم له لحقه الجهل والنقصان فوجب أن لا ينفى ذلك عن الله عز وجل لانه لا يلحقه جهل ولا نقصان .

■ جواب ■ : و يقال لهم هل يجوز أن تنسق الصنائع الحكمية ممن ليس بعالم ؟ فان قالوا ذلك محال و لا يجوز فى وجود الصنائع التى تجرى على ترتيب ونظام الا من عالم قادر حى قيل لهم . وكذلك لا يجوز وجود الصنائع الحكمية التى تجرى على ترتيب ونظام الا من ذى علم وقدرة وحياة فان جاز ظهورها لا من ذى علم فما أنكرتم من جواز ظهورها لا من عالم قادر حى و كل مسئلة سألناهم عنها فى العلم فهى داخلة عليهم فى القدرة والحياة والسمع والبصر .

■ مسئلة ■ : وزعمت المعتزلة أن قول الله عز وجل سميع بصير معناه عليم قيل لهم . فاذا قال عز وجل اننى معكما أسمع وأرى وقال قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها فمعنى ذلك عندكم علم فان قالوا نعم قيل لهم فقد وجب عليكم أن تقولوا معنى قوله أسمع وأرى أعلم واعلم اذ كان معنى ذلك العلم :

■ مسئلة ■ ونفت المعتزلة صفات رب العالمين وزعمت أن معنى سميع بصير راء بمعنى عليم كما زعمت النصارى أن السمع هو بصره وهو رؤيته وهو كلامه وهو علمه وهو ابنه عز الله وجل وتعالى عن ذلك علواً كبيرا فيقال للمعتزلة اذا زعمتم ان معنى سميع و بصير معنى عالم فهلا زعمتم أن معنى قادر

معنى عالم فاذازعمتم ان معنى سميع و بصير معنى قادر فهلا زعمتم ان معنى قادر معنى عالم واذا زعمتم أن معنى حي معنى قادر فلم لاتزعمون أن معنى قادر معنى عالم ؟ فان قالوا هـذا يوجب أن يكون كل معلوم مقدوراً قيل لهم و لو كان معنى سميع بصير معنى عالم لكان كل معلوم مسموعا واذا لم يجز ذلك بطل قولكم

■ باب الكلام فى الارادة ■

الرد على المعتزلة فى ذلك يقال لهم ألستم تزعمون أن الله عز وجل لم يزل عالما ؟ فان قالوا نعم قيل لهم فلم لا تقولون ان مالم يزل عالما انه يكون فى وقت من الاوقات فلم يزل مريدا أن يكون فى ذلك الوقت ومالم يزل عالما أنه لا يكون فلم يزل مريداً أن لا يكون وانه لم يزل مريدا أن يكون ماعلم كما علم ؟ فان قالوا لا نقول ان الله لم يزل مريدا لأن الله مريد بارادة مخلوقة يقال لهم و لم زعمتم أن الله عز وجل مريد بارادة مخلوقة ؟ وما الفصل بينكم وبين الجهمية فى أعمالهم ان الله عالم بعلم مخلوق واذا لم يجز ان يكون علم الله مخلوقا فما أنكرتم أن لا تكون ارادته مخلوقة فان قالوا لا يجوز أن يكون علم الله محدثا لان ذلك يقتضى أن يكون حدث بعلم آخر كذلك لاالى غاية قيل لهم ماأنكرتم أن لا تكون ارادة الله محدثة مخلوقة لان ذلك يقتضى أن تكون حدثت عن ارادة أخرى ثم كذلك لاالى غاية وان قالوا لايجوز أن يكون علم الله محدثا لان ذلك يوجب أنه مريد بارارة أحدثها فيه غيره وذلك لايجوز فان قالوا لايجوز ان يكون علم الله محدثا لان من لم يكن عالما ثم علم لحقه النقصان . قيل لهم ولا يجوز ان تكون ارادة الله محدثة مخلوقة لان من لم يكن مريدا حتى أراد لحقه النقصان وكما لايجوز أن تكون ارادته تعالى محدثة مخلوقة كذلك لايجوز أن يكون كلامه محدثا مخلوقا

■ جواب آخر ■ : و يقال لهم اذا زعمتم أنه قد كان فى سلطان الله عز وجل الكفر والعصيان وهو لا يريده . وأراد ان يؤمن الخلق اجمعون فلم يؤمنوا فقد وجب على قولكم ان أكثر ما شاء الله أن يكون لم يكن وأكثر ماشاء الله ان لا يكون كان لان الكفر الذى كان وهو لا يشاء الله عندكم أكثر من الايمان الذى كان وهو يشاء وأكثر ماشاء ان يكون لم يكن وهذا جحد لما أجمع عليه المسلمون من ان ماشاء الله أن يكون كان وما لايشاء لا يكون

■ جواب آخر ■ : و يقال لهم : يستفاد من قولكم ان كثيرا مماشاءه ابليس أن يكون كان لان الكفر أكثر من الايمان و اكثر ما كان هو شاءه فقد جعلتم مشيئة ابليس أنفذ من مشيئة رب العالمين جل ثناؤه وتقدست أسماؤه لان اكثر ماشاءه كان واكثر ما كان قد شاءه وفى هذا ايجاب انكم قد جعلتم لابليس مرتبة فى المشيئة ليست لرب العالمين تعالى الله عز وجل عن قول الظالمين علواً كبيرا.

■ جواب آخر ■ : و يقال لهم ايما اولى بصفة الاقتدار من اذا شاء ان يكون الشئ كان لامحالة واذا لم يرده لم يكن أومن يريده أن يكون فلا يكون و يكون مالا يريد ؟ فان قالوا من لا يكون اكثر مايريده أولى بصفة الاقتدار كابروا : وقيل لهم : ان جاز لكم ما قلتموه جاز لقائل أن يقول من يكون مالا يعلمه أولى بالعلم ممن لا يكون الامايعلمه وان رجعوا عن هذه المكابرة وزعموا ان من اذا أراد أمراً كان واذا لم يرده لا يكون أولى بصفة الاقتدار لزمهم على مذاهبهم ان يكون ابليس لعنة الله عليه أولى بالاقتدار من الله عز وجل لان اكثر ما أراده كان واكثر ما كان قد أراده : وقيل لهم اذا كان من اذا أراد أمرا كان واذا لم يرده لم يكن أولى بصفة الاقتدار فيلزمكم ان يكون الله عزوجل اذا اراد أمرا كان واذا لم يرده لم يكن لانه أولى بصفة الاقتدار.

■ جواب ■ : و يقال لهم ايما اولى بالألوهية والسلطان من لا يكون الامايعلمه ولا يغيب عن علمه شئ ولا يجوز ذلك عليه ؟ أومن يكون مالا يعلمه ويعزب عن علمه اكثر الاشياء ؟ فان قالوا من لا يكون الا مايعلمه ولا يعزب عن علمه شئ أولى بصفة الالوهية : قيل لهم : فكذلك من لايريد كون شئ الا ما كان ولا يكون الا مايريده ولا يعزب عن ارادته شئ أولى بصفة الألوهية كما قلتم ذلك فى العلم : واذا قالوا ذلك تركوا قولهم ورجعوا عنه وأثبتوا الله عز وجل مريداً لكل كائن وأوجبوا انه لا يريد أن يكون الا ما يكون .

■ جواب ■ : و يقال لهم اذا قلتم انه يكون فى سلطانه تعالى مالا يريد فقد كان اذن فى سلطانه ما كرهه فلابد من نعم فيقال لهم فاذا كان فى سلطانه مايكرهه

فما انكرتم أن يكون فى سلطانه ما يأبى كونه (١) فان اجابوا الى ذلك قيل لهم فقد كانت المعاصى شاء الله أم أبى وهذه صفة الضعف والفقر تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا

■ جواب ■ : و يقال لهم أليس مما فعل العباد مايسخطه تعالى ومايغضب عليهم اذا فعلوه فقد أغضبوه وأسخطوه؟ فلابد من نعم فيقال لهم فلوفعل العباد مالا يريد وما يكرهه لكانوا قد اكرهوه وهذه صفة القهر تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا

■ جواب ■ : و يقال لهم أليس قد قال الله تعالى عز وجل فعال لما يريد؟ فلا بد من نعم فيقال لهم فمن زعم ان الله تعالى فعل مالايريد وأراد أن يكون من فعله مالا يكون لزمه أن يكون قد وقع ذلك وهو ساه غافل عنه أو ان الضعف والتقصير عن بلوغ مالا يريده لحقه فلابد من نعم فيقال لهم فكذلك من زعم انه يكون فى سلطان الله عز وجل مالا يريده من عبيده لزمه أحد أمرين اما أن يزعم ان ذلك كان عن سهو وغفلة أو أن يزعم ان الضعف والتقصير عن بلوغ مايريده لحقه .

■ جواب آخر ■ : ويقال لهم اليس من زعم ان الله عز وجل فعل مالا يعلمه قد نسب الله سبحانه الى مالا يليق به من الجهل؟ فلا بد من نعم فيقال لهم فكذلك من زعم ان عبد الله فعل مالا يريده لزمه ان ينسب الله سبحانه الى السهو والتقصير عن بلوغ ما يريده فاذا قالوا نعم قيل لهم . وكذلك يلزم من زعم ان العباد يفعلون مالا يعلم الله نسب الله تعالى الى الجهل فلا بد من نعم . فيقال لهم فكذلك اذا كان فى كون فعل فعله الله وهو لايريده إيجاب سهو او ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريده فكذلك اذا كان من غيره مالا يريده وجب اثبات سهو وغفلة أوضعف وتقصير عن بلوغ ما يريد لافرق فى ذلك بين ما كان منه وما كان من غيره

■ جواب آخر ■ ويقال لهم اذا كان فى سلطان الله مالايريده وهو يعلمه

---

(١) أى صيرورته

ولا يلحقه الضعف والتقصير عن بلوغ مايريده فما أنكرتم ان يكون فى سلطانه مالا يعلمه ولا يلحقه النقصان فان لم يجز هذالم يجز ماقلتموه *

■مسئلة أخرى■ : ان قال قائل لم قلتم ان الله مريد لكل كائن ان يكون ولكل مالا يكون ان لا يكون ؟ قيل له * الدليل على ذلك ان الحجة قدوضحت ان الله عز وجل خلق الكفر والمعاصى وسنبين ذلك بعد هذا الموضع من كتابنا : واذا وجب ان الله سبحانه خالق لذلك فقد وجب انه مريد له لانه لايجوز ان يخلق مالا يريده *

■وجواب آخر■ : انه لايجوز ان يكون فى سلطان الله عز وجل من اكتساب العباد مالا يريده كما لا يجوز ان يكون من فعله المجمع على انه فعله مالا يريده لانه لو وقع من فعله مالا يعلمه لكان فى ذلك اثبات النقصان وكذلك القول لو وقع من عباده مالا يعلمه فكذلك لايجوز ان يقع من عباده مالا يريده لان ذلك يوجب ان يقع عن سهو وغفلة اوعن ضعف وتقصير عن بلوغ مايريده كما يجب ذلك لو وقع من فعله المجمع على انه فعله مالا يريده : وأيضا فلو كانت المعاصى وهو لايشاء ان تكون لكان قد كره ان تكون وابى ان تكون وهذا يوجب ان تكون المعاصى كائنة شاء الله أم أبى وهذه صفة الضعف تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا * وقد أوضحنا ان الله لم يزل مريدا على الحقيقة الذى علمه عليها فاذا كان الكفر مما يكون وقد علم ذلك فقد أراد أن يكون *

■جواب■ : و يقال لهم اذا كان الله عز وجل علم ان الكفر يكون وأراد أن لا يكون ما علم على خلاف ما علم واذا لم يجز ذلك فقد أراد أن يكون ما علم كما علم *

■جواب■ : و يقال لهم لم أبيتم أن يريد الله الكفر الذى علم انه يكون أن يكون قبيحا فاسدا متناقضا خلافا الايمان * ؟ فان قالوا * لأن مريد السفه سفيه * قيل لهم * ولم قلتم ذلك؟ أوليس قد أخبر الله تعالى عن ابن آدم انه قال لاخيه (لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين انى أريد أن تبوء باثمى واثمك فتكون من أصحاب النار) * فاراد أن لا يقتل أخاه لئلا يعذب وان يقتله اخوه حتى يبوء باثم قتله له وسائر

آثامه التى كانت عليه فيكون من أصحاب النار فاراد قتل أخيه الذى هو سفه ولم يكن بذلك سفيها فلم زعمتم أن الله سبحانه اذا أراد سفه العباد وجب أن ينسب ذلك اليه ؟ .

■ جواب ■ : و يقال لهم . قد قال يوسف عليه السلام (رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه) . وكان سجنهم اياه معصية فاراد المعصية التى هى سجنهم اياه دون فعل مايدعونه اليه ولم يكن بذلك سفيها فما أنكرتم من أنه لايجب اذا أراد البارى سبحانه سفه العباد بأن يكون قبيحا منهم خلافا للطاعة ان يكون سفيها .

■ مسئلة أخرى ■ : و يقال لهم أليس من يرى منا جرم المسلمين كان سفيها ؟ والله سبحانه يراهم و لا ينسب الى السفه فلا بد من نعم ؟ فيقال لهم فما أنكرتم أن من أراد السفه منا كان سفيها والله سبحانه يريد سفه السفهاء و لا ينسب اليه أنه عز وجل سفيه تعالى الله عن ذلك .

■ مسئلة أخرى ■ : و يقال لهم السفيه منا انما كان سفيها لما أراد السفه لانه نهى عن ذلك و لانه تحت شريعة من هو فوقه ومن يحد له الحدود ويرسم له الرسوم فلما أتى مانهى عنه كان سفيها ورب العالمين جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ليس تحت شريعة و لا فوقه من يحد له الحدود ويرسم له الرسوم ولا فوقه مبيح ولا حاظر ولا آمر ولا زاجر فلم يجب اذا أراد ذلك أن يكون قبيحا أن ينسب الى السفه سبحانه وتعالى .

■ مسئلة ■ : ويقال لهم أليس من خلا بين عبيده وبين امائه منا يزنى بعضهم ببعض وهو لايعجز عن التفريق بينهم يكون سفيها ؟ ورب العالمين عز وجل قد خلا بين عبيده وامائه يزنى بعضهم ببعض وهو يقدر على التفريق بينهم وليس سفيها وكذلك من أراد السفه منا كان سفيها ورب العالمين جل وعز يريد السفه وليس سفيها .

■ مسئلة أخرى ■ : و يقال لهم من أراد طاعة الله منا كان مطيعا كما ان من أراد السفه كان سفيها ورب العالمين عز وجل يريد الطاعة وليس مطيعا فكذلك يريد السفه وليس سفيها .

■ مسئلة أخرى ■ : ويقال لهم قال الله عز وجل «ولو شاء الله مااقتتلوا» فاخبر أنه لو شاء أن لايقتتلوا مااقتتلوا قال ولكن الله يفعل مايريد من القتال فاذا وقع القتال فقد شاء كما أنه لما قال «ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه» فقد أوجب أن الرد لوكان الى الدنيا لعادوا الى الكفر وانهم اذ لم يردهم الى الدنيا لم يعودوا فكذلك لو شاء أن لايقتتلوا لما اقتتلوا واذا اقتتلوا فقد شاء أن يقتتلوا »

■مسئلة أخرى■ : ويقال لهم قال الله عز وجل (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) واذا حق القول بذلك فما شاء ان يؤتى كل نفس هداها لانه انما لم يؤتها هداها لما حق القول بتعذيب الكافرين واذا لم يرد ذلك فقد شاء ضلالتها » فان قالوا معنى ذلك لوشئنا لأجبرناهم على الهدى واضطررناهم اليه » قيل لهم فاذا أجبرهم على الهدى واضطرهم اليه أيكونون مهتدين ؟ فان قالوا نعم قيل لهم فاذا كان اذا فعل الهدى كانوا مهتدين فما أنكرتم لو فعل كفر الكافرين لكانوا كافرين وهذا هدم لقولهم لانهم زعموا أنه لايفعل الكفر الا كافر ويقال لهم أيضا على أى وجه ثبوتهم الهدى لو آتاهم اياه وشاء ذلك لهم ؟ فان قالوا على الالجاء قيل لهم واذا ألجأهم الى ذلك هل ينفعهم مايفعلونه على طريق الالجاء ؟ فان قالوا نعم قيل لهم فاذا أخبر أنه لو شاء لآتاهم الهدى لولا ماحق منه من القول انه يملأ جهنم واذا كان لوألجأهم لم يكن نافعا لهم ولا مزيلا للعذاب عنهم كما لم ينفع فرعون قوله الذى قاله عند الغرق والالجاء فلا معنى لقولكم لأنه لولا ماحق من القول لأوتيت كل نفس هداها واتيان الهدى على الوجه الذى قلتموه لا يزيل العذاب »

■مسئلة أخرى■ : ويقال لهم قال الله عز وجل (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض) وقال (ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة) فأخبرانه لولا ان يكون الناس مجتمعين على الكفر لبسط للكافرين الرزق وجعل لبيوتهم سقفا من فضة لكنه لم يبسط لهم الرزق ولم يجعل للكافرين سقفا من فضة فما أنكرتم من أنه لولم يردان

يكفر الكافرون ماخلقهم مع علمه بانه إذا خلقهم كانوا كافرين كما أنه لو أراد أن يكون الناس على الكفر مجتمعين لجعل للكافرين سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون لكنه لم يجعل للكافرين سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون لئلا يكون الناس جميعا على الكفر متطابقين اذا كان فى علمه انه لو لم يفعل ذلك لكانوا جميعا على الكفر متطابقين *

■ باب الكلام فى تقدير أعمال العباد والاستطاعة والتعديل والتجويز ■

يقال للقدرية هل يجوز أن يعلم الله عز وجل عباده شيئا لا يعلمه ؟ فان قالوا لا يعلم الله عباده شيئا الا وهو به عالم : قيل لهم فكذلك لا يقدرهم على شىء الا وهو عليه قادر فلا بد من الاجابة الى ذلك فيقال لهم فاذا أقدرهم على الكفر فهو قادر على ان يخلق الكفر لهم واذا قدر على خلق الكفر لهم فلم تثبتوا خلق كفرهم فاسدا متناقضا باطلا وقد قال تعالى « فعال لما يريد » واذا كان الكفر مما أراد فقد فعله وقدره ويرد عليهم فى اللطف : يقال لهم أليس الله عز وجل قادرا على ان يفعل بخلقه من بسط الرزق مالو فعله بهم لبغوا ؟ وان يفعل بهم مالو فعله بالكفار لكفروا ؟ كما قال (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض) وكما قال (ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة) الآية . فلابد من نعم : فيقال لهم فما أنكرتم من أنه قادر على أن يفعل بهم لطفا لو فعله بهم لآمنوا اجمعون كما انه قادر على ان يفعل بهم امرا لو فعله بهم كفروا كلهم *

■مسئلة آخرى■ : و يقال لهم اليس قد قال الله عز وجل (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا) (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد ابدا) وقال (فاطلع فرآه فى سواء الجحيم) - يعنى فى وسط الجحيم قال (تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة لكنت من المحضرين) ما الفضل الذى فعله بالمؤمنين الذى لو لم يفعله لاتبعوا الشيطان ؟ ولو لم يفعله مازكى منهم من احد ابدا ؟ وما النعمة التى لو لم يفعلها لكان من المحضرين ؟ وهل ذلك شىء لم يفعله بالكافرين وخص بهم المؤمنين ؟ فان قالوا نعم فقد تركوا قولهم واثبتوا لله عز وجل نعما

وفضلا على المؤمنين ابتدأهم بجميعه ولم ينعم بمثله على الكافرين وصاروا إلى القول بالحق وان قالوا قد فعل الله ذلك اجمع بالكافرين لما فعله بالمؤمنين فعل لهم فاذا كان الله عز وجل قد فعل ذلك اجمع بالكافرين فلم يكونوا زاكين وكانوا للشيطان متبعين وفى النار محضرين وهل يجوز ان يقول للمؤمنين لولا انى خلقت لكم الايدى والارجل لكنتم للشيطان متبعين ؟ وهو قد خلق الايدى والارجل للكافرين وكانوا للشيطان متبعين . فان قالوا لايجوز ذلك . قيل لهم وكذلك لايجوز ماقلتموه وهذا يبين ان الله عز وجل اختص المؤمنين من النعم والتوفيق والتسديد بما لم يعط الكافرين وفضل عليهم المؤمنين .

■ مسئلة فى الاستطاعة ■

و يقال لهم أليست استطاعة الايمان نعمة من الله عز وجل وفضلا واحسانا ؟ فاذا قالوا نعم قيل لهم فما أنكرتم أن يكون توفيقا وتسديدا فلا بد من الاجابة الى ذلك و يقال لهم فاذا كان الكافرون قادرين على الايمان فما أنكرتم أن يكونوا موفقين للايمان و لو كانوا موفقين مسددين لكانوا ممدوحين واذا لم يجز ذلك لم يجز أن يكونوا على الايمان قادرين و وجب أن يكون الله عز وجل اختص بالقدرة على الايمان المؤمنين .

■ مسئلة أخرى ■ : يقال لهم و لو كانت القدرة على الكفر قدرة على الايمان فقد رغب اليه فى القدرة على الكفر فلما رأينا المؤمنين يرغبون الى الله عز وجل فى قدرة الايمان و يزهدون فى قدرة الكفر علمنا أن الذى رغبوا فيه غير الذى زهدوا فيه .

■ مسئلة أخرى ■ : و يقال لهم أخبرونا عن قوة الايمان أليست فضلا من الله عز وجل ؟ فلا بد من نعم فيقال لهم فالتفضل أليس هو ما للمتفضل أن لا يتفضل به وله أن يتفضل به ؟ فلا بد من الاجابة الى ذلك بنعم لان ذلك هو الفرق بين الفضل و بين الاستحقاق و يقال لهم وللمتفضل اذا أمر بالايمان أن يرفع التفضل و لا يتفضل به فيأمرهم بالايمان وان خذلهم و لم يعطهم قدرة على الايمان : وهذا هو قولنا ومذهبنا .

■ جواب ■ : و يقال لهم هل يقدر الله على توفيق يوفق به الكافرين

حتى يكونوا مؤمنين ؟ فان قالوا لا ، نطقوا بتعجيز الله عز وجل تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا وان قالوا نعم يقدر على ذلك ولو فعل بهم التوفيق لآمنوا تركوا قولهم وقالوا بالحق ۞

■مسئلة■ : وان سألوا عن قول الله عز وجل (وماالله يريد ظلما للعباد) وعن قوله (وما الله يريد ظلماً للعالمين) قيل لهم معنى ذلك انه لا يريد أن يظلمهم لانه قال وما الله يريد ظلماً لهم ولم يقل لا يريد ظلم بعضهم لبعض فلم يرد أن يظلمهم وان كان أراد ظلم بعضهم لبعض أى فلم يرد أن يظلمهم وان كان أراد أن يتظالموا ۞

■ مسئلة ■ : وان سألوا عن قول الله تعالى (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) قالوا والكفر متفاوت فكيف يكون من خلق الله ؟ والجواب عن ذلك أنه عز وجل قال (خلق سبع سموات طباقا ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) فانما عنى حينئذ وما ترى فى السموات من فطور لانه ذكر خلق السموات ولم يذكر الكفر واذا كان هذا على ماقلنا بطل ما قالوه والحمد لله رب العالمين ۞

■ جواب ■ : ويقال لهم هل تعرفون لله عز وجل نعمة على أبى بكر الصديق رضى الله عنه خص بها دون أبى جهل ابتداء ؟ فان قالوا لا فحش قولهم وان قالوا نعم تركوا مذاهبهم لانهم لا يقولون ان الله خص المؤمنين فى الابتداء بما لم يخص به الكافرين ۞

■ مسئلة ■ : وان سألوا عن قول الله عز وجل (ما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) فقالوا هذه الآية تدل على أن الله عز وجل لم يخلق الباطل (والجواب) عن ذلك ان الله عز وجل أراد تكذيب المشركين الذين قالوا لاحشر ولا نشور ولا اعادة فقال تعالى ماخلقت ذلك وأنا لا أثيب من أطاعنى ولا أعاقب من عصانى كما ظن الكافرون انه لاحشر ولا نشور ولا ثواب ولا عقاب ألا تراه قال (ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) وبين ذلك بقوله (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين

فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار) اى لانسوى بينهم فى ان نفنيهم اجمعين و لا نعيدهم فيكون سبيلهم سبيلا واحداً .

■ مسئلة ■ : وان سألوا عن قول الله عز وجل (ماأصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك) والجواب عن ذلك ان الله عز وجل قال وان تصبهم حسنة يعنى الخصب والخير يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يعنى الجدوبة والقحط والمصائب قالوا هذه من عندك اى لشؤمك قال الله يامحمد (قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا) فى قولهم (ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) فحذف فى قولهم لأن ماتقدم من الكلام يدل عليه لأن القرآن لايتناقض ولا يجوز أن يقول فى آية أن الكل من عند الله ثم يقول فى الآية الاخرى التى تليها أن الكل ليس من عند الله على أن ماأصاب الناس هو غير ماأصابوه وهذا يبين بطلان تعلقهم بهذه الآية ويوجب عليهم الحجة .

■ مسئلة ■ : وان سألوا عن قول الله عز وجل (ماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) فالجواب عن ذلك ان الله عز وجل إنما عنى المؤمنين دون الكافرين لانه اخبرنا انه ذرأ لجهنم كثيرا من خلقه فالذين خلقهم لجهنم واحصاهم وعدهم وكتبهم باسمائهم واسماء آبائهم وامهاتهم غير الذين خلقهم لعبادته .

■ مسئلة فى التكليف ■

و يقال لهم أليس قد كلف الله عزوجل الكافرين ان يستمعوا الحق ويقبلوه و يؤمنوا بالله ؟ فلا بد من نعم : فيقال لهم فقد قال الله عز وجل (ما كانوا يستطيعون السمع) وقال (وكانوا لايستطيعون سمعا) وقد كلفهم استماع الحق

■ جواب ■ : ويقال لهم أليس قد قال الله عز وجل ؟ (يوم يكشف عن ساق و يدعون الى السجود فلا يستطيعون) أليس قد أمرهم عز وجل بالسجود فى الآخرة ؟ وجاء فى الخبر ان المنافقين يجعل فى أصلابهم كالصفائح فلا يستطيعون السجود وفى هذا تثبيت لما نقوله من أنه لايجب لهم على الله عز وجل اذا أمرهم ان يقدرهم وهو بطلان قول القدرية .

■ مسألة فى إيلام الاطفال ■

و يقال لهم أليس قد آلم الله عز وجل الاطفال فى الدنيا بآلام أوصلها اليهم؟ كنحو الجذام الذى يقطع أيديهم وأرجلهم وغير ذلك مما يؤلمهم به وكان ذلك سائغا جائزا فاذا قالوا نعم قيل لهم فاذا كان هذا عدلا فما أنكرتم أن يؤلمهم فى الآخرة ويكون ذلك منه عدلا فان قالوا آلمهم فى الدنيا لتعتبر بهم الآباء قيل لهم فاذا فعل بهم ذلك فى الدنيا ليعتبر بهم الآباء وكان ذلك منه عدلا فلم لا يؤلم أطفال الكافرين فى الآخرة ليغيظ بذلك آباءهم ويكون ذلك منه عدلا ؟ وقد قيل فى الخبر ان الأطفال تؤجج لهم نار يوم القيامة ثم يقال لهم اقتحموها فمن اقتحمها أدخل الجنة ومن لم يقتحمها أدخله النار.

■مسئلة■ . وقد قيل فى الاطفال و روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بنى اسمعيل ضعاهم فى النار (١) .

■جواب■ : و يقال لهم اليس قد قال الله تعالى ؟(تبت يدا ابى لهب وتب ماأغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب) . وامره مع ذلك بالايمان فاوجب عليه ان يعلم انه لا يؤمن وان الله صادق فى اخباره عنه انه لا يؤمن وامره مع ذلك ان يؤمن ولا يجتمع الايمان والعلم بأنه لا يكون . ولا يقدر القادر على ان يؤمن وان يعلم انه لا يؤمن واذا كان هذا هكذا فقد أمر الله سبحانه ابالهب بما لا يقدر عليه لانه امره ان يؤمن وانه يعلم انه لا يؤمن.

■ مسئلة ■ : و يقال لهم أليس أمر الله عز وجل بالايمان من علم انه لا يؤمن ؟ فان قالوا نعم يقال لهم فانتم قادرون على الايمان فيتأتى لكم ذلك وان قالوا لا وافقوا وان قالوا نعم زعموا ان العباد يقدرون على الخروج من علم الله تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيرا .

■ الرد على المعتزلة ■

قال ابو الحسن الاشعرى و يقال لهم اليس المجوس اثبتوا ان الشيطان يقدر على الشر الذى لا يقدر الله عز وجل عليه فكانوا بقولهم هذا كافرين ؟ فلابد

---

(١) كذا بالاصل ولا يخفى ان فى هذه المسألة نقصا وتحريفا

من نعم .. فيقال لهم فاذا زعمتم ان الكافرين يقدرون على الكفر والله عز وجل لا يقدر عليه فقد زدتم على المجوس فى قولهم لأنكم تقولون معهم ان الشيطان يقدر على الشر والله لا يقدر عليه وهذا مما يبينه الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القدرية مجوس هذه الأمة * وانما صاروا مجوس هذه الامة لانهم قالوا بقول المجوس *

■ مسئلة ■ وزعمت القدرية انا نستحق اسم القدر لانا نقول ان الله عز وجل قدر الشر والكفر فمن يثبت القدر كان قدريا دون من لم يثبته * فيقال لهم القدرى هو من يثبت القدر لنفسه دون ربه عز وجل وانه يقدر أفعاله دون خالقه وكذلك هو فى اللغة لان الصائغ هو من زعم أنه يصوغ دون من يقول انه يصاغ له والنجار هو من يضيف النجارة الى نفسه دون من يزعم انه ينجر له فلما كنتم تزعمون انكم تقدرون اعمالكم وتفعلونها دون ربكم وجب ان تكونوا قدرية ولم نكن نحن قدرية لانا لم نضف الاعمال الى انفسنا دون ربنا عز وجل ولم نقل انا نقدرها دونه وقلنا انها تقدر لنا *

■ جواب ■ : و يقال لهم اذ كان من أثبت التقدير لله عز وجل قدريا فيلزمكم اذا زعمتم ان الله عز وجل قدر السموات والارض وقدر الطاعات ان تكونوا قدرية فاذا لم يلزم هذا فقد بطل قولكم وانتقض كلامكم *

■ مسئلة فى الختم ■

يقال لهم : أليس قد قال الله عز وجل (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة) وقال عز وجل (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) فخبرونا عن الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم اتزعمون انه هداهم وشرح للاسلام صدورهم واضلهم ؟ فان قالوا نعم تناقض قولهم : كيف القفل الذى قال الله عز وجل (ام على قلوب اقفالها) مع الشرح والضيق مع السعة والهدى مع الضلال ؟ ان كان هذا جاز ان يجتمع التوحيد والالحاد الذى هو ضد التوحيد : والكفر والايمان معاً فى قلب واحد وان لم يجز هذا لم يجز ما قلتموه فان قالوا الختم والضيق والضلال لا يجوز ان يجتمع مع شرح الله الصدر قيل لهم وكذلك الهدى لا يجتمع مع الضلال

واذا كان هكذا فما شرح الله صدور الكافرين للايمان بل ختم على قلوبهم وأقفلها عن الحق وشد عليها كما دعا نبي الله موسى عليه السلام على قومه فقال (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) وقال الله عز وجل (قد اجيبت دعوتكما) وقال عز وجل يخبر عن الكافرين انهم قالوا (قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا و بينك حجاب) فاذا خلق الله الاكنة فى قلوبهم والقفل والزيغ لان الله تعالى قال (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) والختم وضيق الصدر ثم أمرهم بالايمان الذى علم انه لا يكون فقد أمرهم بما لا يقدرون عليه واذا خلق الله فى قلوبهم ما ذكرناه من الضيق عن الايمان فهل الضيق عن الايمان الا الكفر الذى فى قلوبهم؟ وهذا يبين ان الله خلق كفرهم ومعاصيهم *

■ جواب ■ و يقال لهم قال الله عز وجل لنبيه عليه السلام (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) وقال يخبر عن يوسف ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه * فحدثونا عن ذلك التثبيت والبرهان هل فعله الله عز وجل بالكافرين أو ماهو مثله؟ فان قالوا لا. تركوا القول بالقدر وان قالوا نعم قيل لهم فاذا كان لم يركن اليهم من أجل التثبيت فيجب لوكان فعل ذلك بالكافرين أن يثبتوا عن الكفر واذا لم يكونوا عن الكفر مفترقين فقد بطل أن يكون فعل بهم مثل مافعله بالنبى صلى الله عليه وسلم من التثبيت الذى لما فعله به لم يركن الى الكافرين *

■ مسئلة فى الاستثناء ■

يقال لهم خبرونا عن مطالبة رجل بحق فقال له والله لأعطينك ذلك غدا ان شاء الله أليس الله شائيا أن يعطيه حقه؟ فان قالوا نعم يقال لهم أفرأيتم ان جاء الغد فلم يعطه حقه أليس لا يحنث؟ فلابد من نعم. فيقال لهم فلوكان الله شاء أن يعطيه حقه لحنث اذا لم يعطه كما لو قال والله لأعطينك حقك اذا طلع الفجر غدا ثم طلع ولم يعطه يكون حانثا *.

■ مسئلة فى الآجال ■

يقال لهم أليس قد قال الله عز وجل (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة

ولا يستقدمون) وقال (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها) ؟ فلابد من نعم يقال لهم نخبرونا عمن قتله قاتل ظلما أتزعمون انه قتل فى اجله أو باجله ؟ فان قالوا نعم وافقوا وقالوا بالحق وتركوا القدر وان قالوا لا قيل لهم : فمتى أجل هذا المقتول ؟ فان قالوا الوقت الذى علم الله انه لولم يقتل لتزوج امرأة علم انها امرأته وان لم يبلغ الى ان يتزوجها واذا كان فى معلوم الله انه لولم يقتل وبقى لكفر أن تكون النار داره واذا لم يجز هذا لم يجز أن يكون الوقت الذى لم يبلغ اليه أجلا له على ان هذا القول لايفيد لقول الله عزوجل (فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون»

■ مسئلة اخرى ■ ويقال لكم اذا كان القاتل عندكم قادرا على ان لايقتل هذا المقتول فيعيش فهو قادر على قطع اجله وتقديمه قبل اجله وهو قادر على تأخيره الى اجله فالانسان على قولكم يقدر ان يقدم آجال العباد ويؤخرها ويقدر ان يبقى العباد ويبلغهم ويخرج ارواحهم وهذا الحاد فى الدين»

■ مسئلة فى الارزاق ■

ويقال لهم خبرونا عمن اغتصب طعاما فاكله حراما هل رزقه الله ذلك الحرام ؟ فان قالوا نعم تركوا القدر وان قالوا لا قيل لهم فمن اكل جميع عمره الحرام فما رزقه الله شيئا اغتذى به جسمه ويقال لهم فاذا كان غيره يغتصب له ذلك الطعام ويطعمه اياه الى ان مات فرازق هذا الانسان عندكم غير الله وفى هذا اقرار منهم ان للخلق رازقين احدهما يرزق الحلال والآخر يرزق الحرام وان الناس تنبت لحومهم وتشتد عظامهم والله غير رازق لهم ما اغتذوا به واذا قلتم ان الله لم يرزقه الحرام لزمكم ان الله لم يغذه به ولاجعله قواما لجسمه وان لحمه وجسمه قام وعظمه اشتد بغير الله عز وجل وهو من رزقه الحرام وهذا كفر عظيم ان احتملوا .

■ مسئلة اخرى فى الارزاق ■

ويقال لهم لم أبيتم ان يرزق الله الحرام ؟ فان قالوا لانه لو رزق الحرام لملك الحرام يقال لهم خبرونا عن الطفل الذى يتغذى من لبن أمه وعن البهيمة التى ترعى الحشيش من يرزقهما ذلك ؟ فان قالوا الله قيل لهم هل ملكهما وهل

للبهيمة ملك ؟ فان قالوا لا قيل لهم فلم زعمتم أنه لو رزق الحرام للملك الحرام وقد يرزق الله الشيء ولا يملكه ؟ ويقال لهم هل أقدر الله العبد على الحرام ولم يملكه اياه ؟ فان قالوا نعم يقال لهم فما أنكرتم ان يرزقه الحرام وان لم يملكه اياه.

■ جواب ■ يقال لهم اذا كان توفيق المؤمنين بالله فما أنكرتم ان يكون خذلان الكافرين من قبل الله والا فان زعمتم ان الله وفق الكافرين للايمان فقولوا عصمهم من الكفر وكيف يعصمهم من الكفر وقد وقع الكفر منهم فان أثبتوا ان الله خذلهم قيل لهم فالخذلان من الله أليس هو الكفر الذى خلقه فيهم ؟ فان قالوا نعم وافقوا وان قالوا لا قيل لهم فما ذلك الخذلان الذى خلقه ؟ فان قالوا تخليته اياهم والكفر قيل لهم أوليس من قولكم ان الله عز وجل خلا بين المؤمنين وبين الكفر؟ فان قالوا نعم قيل لهم فاذا كان الخذلان التخلية بينهم وبين الكفر فقد لزمكم ان يكون خذل المؤمنين لانه خلى بينهم وبين الكفر وهذا خروج عن الدين فلابد لهم ان يثبتوا الخذلان للكفر الذى خلقه الله فيهم فيتركوا القول بالقدر.

■ مسئلة ■ ان سأل سائل من اهل القدر فقال هل يخلو العبد من أن يكون بين نعمة يجب عليه ان يشكر الله عليها أو بلية يجب عليه الصبر عليها قيل له العبد لا يخلو من نعمة وبلية والنعمة يجب على العبد ان يشكر الله عليها والبلايا على ضربين منها ما يجب الصبر عليها كالأمراض والأسقام وما أشبه ذلك ومنها ما يجب عليه الاقلاع عنها كالكفر والمعاصى.

■ مسئلة ■ وان سألوا فقالوا أيما خير الخير أو من الخير منه ؟ قيل لهم من كان الخير منه متفضلا به فهو خير من الخير فان قالوا فايما شر الشر أو من الشر منه ؟ قيل لهم من كان الشر منه جائرا به فهو شر من الشر والله عز وجل يكون منه الشر خلقا وهو عادل به فلذلك لا يلزمنا ماسألتم عنه على انكم ناقضون لأصولكم لأنه ان كان من كان الشر منه فهو شر من الشر وقد خلق الله عز وجل ابليس الذى هو شر من الشر الذى يكون منه فقد خلق ماهو شر من الشرور كلها وهذا نقض دينكم وفساد مذهبكم.

■ مسئلة فى الهدى ■

يقال للمعتزلة أليس قد قال الله عز وجل (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) فاخبر ان القرآن هدى للمتقين ؟ فلا بد من نعم فيقال لهم أوليس قد ذكر الله عز وجل القرآن فقال (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى) مخبر أن القرآن على الكافرين عمى ؟ فلابد من نعم ويقال لهم فهل يجوز أن يكون من أخبر الله عز وجل ان القرآن له هدى هو عليه عمى ؟ فلابد من لا فيقال لهم فكما لا يجوز أن يكون القرآن عمى على من أخبر الله انه له هدى كذلك لا يجوز أن يكون القرآن هدى لمن أخبر الله أنه عليه عمى *

■ مسئلة أخرى ■ ثم يقال لهم اذا جاز أن يكون دعاء الله الى الايمان هدى لمن قبل ولمن لم يقبل فما أنكرتم دعاء ابليس الى الكفر اضلالا لمن قبل ولمن لم يقبل فان كان دعاء ابليس الى الكفر اضلالا للكافرين الذين قبلوا عنه دون المؤمنين الذين لم يقبلوا عنه فما أنكرتم أن دعاء الله عز وجل الى الايمان هدى للمؤمنين الذين قبلوا عنه دون الكافرين الذين لم يقبلوا عنه والا فما الفرق بين ذلك ؟ *

■ مسئلة أخرى ■ و يقال لهم أليس قال الله عز وجل (يضل به كثيرا) ؟ فهل يدل قوله يضل به كثيرا على أنه لم يضل الكل لانه لو أراد الكل لقال يضل به الكل فلما قال يضل به كثيرا علمنا أنه لم يضل الكل ؟ فلا بد من نعم فيقال لهم فما أنكرتم أن قوله ويهدى به كثيرا دليل على أنه لم يرد الكل لانه لو أراد الكل لقال و يهدى به الكل فلما قال و يهدى به كثيرا علمنا أنه لم يهد الكل و فى هذا ابطال قولكم ان الله هدى الخلق أجمعين *

■ مسئلة أخرى ■ : ويقال لهم اذا قلتم ان دعاء الله الى الايمان هدى للكافرين الذين لم يقبلوا عن الله أمره فما أنكرتم أن يكون دعاء الله الى الايمان نفعا وصلاحا وتسديدا للكافرين الذين لم يقبلوا عن الله أمره وما انكرتم أن يكون عصمة لهم من الكفر وان لم يكونوا من الكفر معتصمين وان يكون توفيقا للايمان وان لم يوفقوا للايمان و فى هذا مايجب ان الله سدد الكافرين وأصلحهم وعصمهم و وفقهم للايمان وان كانوا كافرين وهذا مما

لايجوز لأن الكافرين مخذولون وكيف يكونون موفقين للايمان وهم مخذلون ؟ فان جاز أن يكون الكافر موفقا للايمان فما أنكرتم ان يكون الايمان له متفقا فان استجاز هذا فما انكرتم ان يستحيل ماقلتموه .

■ مسئلة فى الضلال ■

يقال لهم هل أضل الله الكافرين عن الايمان أوعن الكفر؟ فان قالوا عن الكفر قيل لهم فكيف يكونون ضالين عن الكفر ذاهبين عنه وهم كافرون ؟ فان قالوا اضلهم عن الايمان تركوا قولهم وان قالوا نقول ان الله اضلهم ولم يضلهم عن شئ قيل لهم ماالفرق بينكم و بين من قال ان الله هدى المؤمنين لاالى شئ ؟ فان استحال أن يهدى المؤمنين لاالى الايمان فما انكرتم من انه محال أن يضل الكافرين لاعن الايمان .

■ مسئلة اخرى ■ : و يقال لهم مامعنى قول الله عز وجل (ويضل الله الظالمين) فان قالوا معنى ذلك آنه يسميهم ضالين ويحكم عليهم بالضلال قيل لهم أليس خاطب الله العرب بلغتها فقال (بلسان عربى مبين) وقال (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) ؟ فلا بد من نعم فيقال لهم فاذا كان انزل الله القرآن بلسان العرب فمن اين وجدتم فى لغة العرب ان يقال أضل فلان فلانا أى سماه ضالا ؟ فان قالوا وجدنا القائل يقول اذا قال رجل لرجل ضال قد ضللته قيل لهم قد وجدنا العرب يقولون ضلل فلان فلانا اذا سماه ضالا ولم نجدهم يقولون أضل فلان فلانا بهذا المعنى فلما قال الله عزوجل (و يضل الله الظالمين) لم يجز أن يكون ذلك معنى ذلك الاسم والحكم اذا لم يجز فى العرب أن يقال أضل فلان فلانا اذا سماه ضالا بطل تأويلك إذا كان خلاف لسان العرب .

■ مسئلة أخرى ■ : و يقال لهم اذا قلتم إن الله أضل الكافرين بأن سماهم ضالين وليس ذلك فى اللغة على ماادعيتموه فيلزمكم اذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم قوما ضالين فاسدين بان يكون قد أضلهم وأفسدهم بأن سماهم ضالين فاسدين واذا لم يجز هذا بطل أن يكون معنى يضل الله الظالمين الاسم والحكم كما ادعيتم .

■جواب■ : و يقال لهم أليس قد قال الله تعالى (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا) وقال عز وجل (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم) ؟ فذكر أنه لا يهديهم وقال (والله يدعو الى دار السلام و يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) فجعل الدعاء عاما والهدى خاصا وقال (لا يهدى القوم الكافرين) فاذا أخبر الله عز وجل أنه لا يهدى القوم الكافرين فكيف يجوز لقائل أن يقول أنه هدى الكافرين مع إخباره أنه لا يهديهم ومع قوله (انك لا تهدى من أحببت و لكن الله يهدى من يشاء) ومع قوله (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء) ومع قوله (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) ؟ وان جاز هذا جاز ان يقال أضل المؤمنين مع قوله (من يهد الله فهو المهتدى) ومع قوله (هدى للمتقين) فان لم يكن ذلك فما أنكرتم أنه لا يجوز أن يهدى الكافرين مع قوله (لا يهدى القوم الكافرين) ومع سائر الآيات التى طالبناكم بها .

■جواب■ : و يقال لهم أليس قد قال الله عز وجل (أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه و قلبه وجعل على بصره غشاوة) ؟ فلا بد من نعم فيقال لهم . فاضلهم ليضلوا أو ليهتدوا فان قالوا أضلهم ليهتدوا قيل لهم وكيف يجوز أن يضلهم ليهتدوا ؟ وان جاز هذا جاز ان يهديهم ليضلوا واذا لم يجز ان يهدى المؤمنين ليضلوا فما أنكرتم من أنه لا يجوز أن يضل الكافرين ليهتدوا .

■جواب■ و يقال لهم اذا زعمتم أن الله هدى الكافرين فلم يهتدوا فما أنكرتم أنه تعالى ينفعهم فلا ينتفعون وانه يصلحهم فلا ينصلحون واذا جاز أن ينفع من لا ينتفع بنفعه فما أنكرتم من أنه يضر من لا تلحقه المضرة فان كان لا يضر الا لمن يلحقه الضرر فكذلك لا ينفع الا منتفعا ولو جاز أن ينفع من ليس منتفعا جاز أن يقدر من ليس مقتدرا واذا استحال ذلك استحال أن ينفع من ليس منتفعا و يهدى من ليس مهتديا .

■مسئلة■ : تسئلونا عنها تقولون أليس قد قال الله عز وجل (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات) ؟ فما أنكرتم أن يكون القرآن

هدى للكافرين والمؤمنين قيل لهم الآية خاصة لأن الله عز وجل قد بين لنا أنه هدى للمتقين وخبرنا أنه لايهدى الكافرين والقرآن لا يتناقض فوجب أن يكون قوله هدى للناس أراد المؤمنين دون الكافرين *

■ سؤال ■ : فان قال قائل أليس قد قال الله عز وجل (انما تنذر من اتبع الذكر) وقال (انما أنت منذرمن يخشاها) وقد أنذر النبي صلى الله عليه وسلم من اتبع الذكر ومن لم يتبع ومن خشي ومن لم يخش * ؟ قيل له * نعم فان قالوا فما أنكرتم أن يكون قوله هدى للمتقين أراد به هدى لهم ولغيرهم قيل لهم إن معنى قول الله عز وجل (انما تنذر من اتبع الذكر) انما أراد به ينتفع بانذارك من اتبع الذكر وقوله (انما أنت منذر من يخشاها) أراد أن الانذار ينتفع به من يخشى الساعة ويخاف العقوبة فيها وان الله عز وجل قد أخبر فى موضع آخر من القرآن انه أنذر الكافرين فقال (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون) وهذا هو خبر عن الكافرين وقال (وانذر عشيرتك الاقربين) وقال (انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) وهذا خطاب للكافرين فلما اخبر الله عز وجل فى آيات من القرآن انه انذر الكافرين كما اخبر الله فى آيات انه انذرمن يخشاها وانذر من اتبع الذكر وجب بالقرآن ان الله قد انذر المؤمنين والكافرين فلما اخبرنا الله انه هدى للمتقين وعمى على الكافرين وأخبرنا انه لايهدى الكافرين وجب ان يكون القرآن هدى للمؤمنين دون الكافرين *

■ سؤال ■ ان سأل سائل عن قول الله عز وجل (فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) فقال أليس ثمود كانوا كافرين وقد اخبر الله انه هداهم * ؟ قيل له * ليس الأمر كما ظننت والجواب فى هذه الآية على وجهين * احدهما * ان ثمود على فريقين كافرين ومؤمنين وهم الذين أخبر انه انجاهم مع صالح بقوله عز وجل (نجينا صالحا والذين آمنوا معه) * فالذين عنى الله عز وجل من ثمود انه هداهم هم المؤمنون دون الكافرين لأن الله عز وجل قد بين لنا فى القرآن انه لا يهدى الكافرين والقرآن لا يتناقض بل يصدق بعضه بعضا فاذا اخبرنا فى موضع انه لا يهدى الكافرين ثم أخبر فى

موضع أنه هدى ثمود علمنا أنه انما أراد المؤمنين من ثمود دون الكافرين.
والوجه الآخر « ان الله عز وجل عنى قوما من ثمود كانوا مؤمنين ثم ارتدوا فاخبر انه هداهم فاستحبوا بعد الهداية الكفر على الايمان وكانوا فى حال هداهم مؤمنين ». فان قال قائل معترضا فى الجواب الاول كيف يجوز ان يقول فهديناهم ويعنى المؤمنين من ثمود و يقول فاستحبوا يعنى الكافرين منهم وهم غير مؤمنين ؟ يقال له هذا جائز فى اللغة التى ورد بها القرآن أن يقول فهديناهم ويعنى المؤمنين من ثمود ويقال فاستحبوا يعنى الكافرين منهم وقد ورد القول بمثل هذا قال الله عز وجل (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) يعنى الكفار ثم قال (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) يعنى المؤمنين ثم قال (وما لهم ألا يعذبهم الله) يعنى الكافرين ولا خلاف عند أهل اللغة فى جواز الخطاب بهذا أن يكون ظاهره لجنس والمراد به جنسان فبطل مااعترض به المعترض ودل على جهله.

■ باب ذكر الروايات فى القدر ■

روى معاوية بن عمرو قال ثنا زائدة قال حدثنا سليمان الاعمش عن زيد ابن وهب عن عبد الله بن مسعود قال أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه فى أربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله الملك قال فيؤمر بأربع كلمات يقال اكتب أجله ورزقه وعمله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح قال فان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها » وروى معاوية بن عمرو قال ثنا زائدة عن الاعمش عن أبى صالح عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « احتج آدم وموسى قال موسى يا آدم انت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه اغويت الناس واخرجتهم من الجنة قال فقال آدم انت موسى الذى اصطفاك الله بكلماته تلومنى على عمل كتبه الله على قبل ان يخلق السموات

قال فحج آدم موسى» * و روى حديث حج آدم موسى مالك عن ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على بطلان قول القدرية الذين يقولون ان الله عز وجل لا يعلم الشيء حتى يكون لأن الله عز وجل اذا كتب ذلك وامر بان يكتب فلا يكتب شيئا لا يعلم جل عن ذلك وتقدس: وقال الله عز وجل (وماتسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين) وقال (وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها و يعلم مستقرها ومستودعها) وقال (أحصاه الله ونسوه) وقال (لقد أحصاهم وعدهم عداً) وقال (احاط بكل شيء علما) (وأحصى كل شيء عددا) وقال (بكل شيء عليم) فذلك يبين انه لا يعلم الاشياء كلها وقد اخبر الله عز وجل ان الخلق يبعثون و يحشرون وان الكافرين فى النار يخلدون وان الأنبياء والمؤمنين فى الجنان يدخلون وان القيامة تقوم ولم تقم القيامة بعد فذلك يدل على أن الله تعالى يعلم ما يكون قبل أن يكون وقد قال الله فى اهل النار (ولو ردوا لعادوا) * فاخبر عما لا يكون أن لو كان كيف يكون وقال (فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى) ومن لا يعلم الشيء قبل كونه لا يعلمه بعد تقضيه تعالى عن قول الظالمين علواً كبيرا: و روى معاوية بن عمرو قال ثنا زائدة عن سليمان الاعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن ابى ليلى عن عبد الله بن ربيعة قال كنا عند عبد الله قال فذكروا رجلا فذكروا من خلقه فقال القوم أماله من يأخذ على يديه ؟ قال عبد الله أرأيتم لو قطع رأسه أكنتم تستطيعون أن تجعلوا له يدا ؟ قالوا لا : قال عبد الله ان النطفة اذا وقعت فى المرأة مكثت أربعين يوما ثم انحدرت دما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث ملك فيقول اكتب اجله وعمله ورزقه وأثره وخلقه وشقى أوسعيد وانكم لن تستطيعوا أن تغيروا خلقه حتى تغيروا خلقه: و روى معاوية بن عمرو قال ثنا زائدة عن منصور عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن عن على رضى الله عنه قال كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقعد ونحن حوله ومعه مخصرة له فنكت بها و رفع رأسه فقال مامنكم من نفس منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة أو

النار والا قد كتبت شقية أو سعيدة فقال رجل من القوم يارسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فمن كان منا من أهل السعادة يصير الى السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فيصير الى الشقاوة فقال اعملوا فكل ميسر. أما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة وأما اهل السعادة فييسرون لعمل السعادة ثم قال (فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) .. وروى موسى بن اسمعيل قال ثنا حماد قال أنا هشام بن عروة عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وانه مكتوب فى الكتاب من أهل النار فاذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل النار فمات فدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار وانه لمكتوب فى الكتاب انه من أهل الجنة فاذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل الجنة فمات فدخل الجنة » ..

وهذه الأحاديث تدل على أن الله عز وجل علم ما يكون انه يكون وكتبه وانه قد كتب أهل الجنة وأهل النار وخلقهم فريقين فريقا فى الجنة وفريقا فى السعير وبذلك نطق كتابه اذ يقول فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة وقال (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) وقال (فمنهم شقى وسعيد) فخلق الله الاشقياء للشقاوة والسعداء للسعادة وقال عز وجل (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله عز وجل جعل للجنة أهلا وللنار أهلا » ..

■ دليل فى القدر ■ : ومما يدل على بطلان قول القدرية قول الله عز وجل (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية وجاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل مسح ظهر آدم فأخرج ذريته من ظهره كامثال الذر ثم قررهم بوحدانيته وأقام الحجة عليهم لانه قال (وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا) قال الله عز وجل (ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) فجعل تقريرهم بوحدانيته لما أخرجهم من ظهر آدم حجة عليهم اذا انكروا فى الدنيا ما كانوا عرفوه فى الذر الاول ثم من بعد الاقرار جحدوه .. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قبض

قبضة للجنة وقبض قبضة للنار ميز بعضا من بعض فغلبت الشقوة على اهل الشقوة والسعادة على اهل السعادة قال الله عز وجل مخبرا عن اهل النار انهم قالوا (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين) وكل ذلك بامر قد سبق فى علم الله عز وجل ونفذت فيه ارادته وتقدمت فيه مشيئته ۞ وروى معاوية ابن عمرو قال زائدة قال طلحة بن يحيي القرشي قال حدثتنى عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين ان النبي صلى الله عليه وسلم دعى الى جنازة غلام من الأنصار ليصلى عليه فقالت عائشة طوبى لهذا يارسول الله عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوأ ولم يدركه قال أوغير ذلك يا عائشة ان الله عز وجل قد جعل للجنة أهلا وهم فى أصلاب آبائهم وللنار أهلا جعلهم لها وهم فى أصلاب آبائهم ۞ وهذا يبين ان السعادة قد سبقت لأهلها والشقاء قد سبق لأهله : وقال النبي صلى الله عليه وسلم «اعملوا فكل ميسر لما خلق له » ..

■ دليل آخر ■ : وقد قال الله عز وجل (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا) وقال (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) فاخبر انه يضل ويهدى : وقال (ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) فاخبرنا انه فعال لما يريد واذا كان الكفر مما أراده فقد فعله وقدره واحدثه وأنشأه واخترعه : وقد بين ذلك بقوله (أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون) فلو كانت عبادتهم للاصنام من أعمالهم كان ذلك مخلوقا لله وقد قال الله تعالى (جزاء بما كانوا يعملون) يريد أنه يجازيهم على أعمالهم فكذلك اذا ذكر عبادتهم للاصنام وكفرهم بالرحمن ولو كان بما قدروه وفعلوه لانفسهم لكانوا قد فعلوا وقدروا ماخرج عن تقدير ربهم وفعله وكيف يجوز أن يكون لهم من التقدير والفعل والقدرة ماليس لربهم ؟ من زعم ذلك فقد عجز الله عز وجل وتعالى عن قول المعجزين له علواً كبيرا ألا ترى أن من زعم أن العباد يعلمون مالا يعلمه الله عز وجل فكأنه قد أعطاهم من العلم مالم يدخل فى علم الله وجعلهم لله نظراء فكذلك من زعم أن العباد يفعلون ويقدرون مالم يقدره الله ويقدرون على مالم يقدر عليه فقد جعل لهم من السلطان والقدرة والتمكن مالم يجعله الرحمن تعالى الله عن قول أهل

الزور والبهتان والافك والطغيان علواً كبيرا .

■ جواب ■ : ويقال لهم هل فعل الكافر الكفر فاسدا باطلا متناقضا ؟ فان قالوا نعم : قيل لهم وكيف يفعله فاسدا متناقضا قبيحا وهو يعتقده حسناً صحيحا أفضل الاديان ؟ واذا لم يجز ذلك لأن الفعل لايكون فعلا على حقيقته الا ممن علمه على ماهوعليه من حقيقته كما لا يجوز ان يكون فعلا ممن لم يعلمه فعلا فقد وجب ان الله عز وجل هو الذى قدر الكفر وخلقه كفرا فاسدا باطلا متناقضا خلافا للحق والسداد .

■ باب الكلام فى الشفاعة والخروج من النار ■

ويقال لهم قد أجمع المسلمون أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة . فلمن الشفاعة هى للمذنبين المرتكبين الكبائر أو للمؤمنين المخلصين ؟ فان قالوا للمذنبين المرتكبين الكبائر وافقوا وان قالوا للمؤمنين المبشرين بالجنة الموعودين بها قيل لهم : فاذا كانوا بالجنة موعودين وبها مبشرين والله عز وجل وعده لايخلف فما معنى الشفاعة لقوم لايجوز عندكم أن لا يدخلهم الله جناته ؟ ومامعنى قولكم قد استحقوها على الله واستوجبوها عليه؟ واذا كان الله عز وجل لا يظلم مثقال ذرة كان تأخيرهم عن الجنة ظلما وانما يشفع الشفعاء الى الله عز وجل فى أن لا يظلم على مذاهبكم تعالى الله عن افترائكم عليه علواً كبيرا . فان قالوا : يشفع النبى صلى الله عليه وسلم الى الله عز وجل فى أن يزيدهم من فضله لا فى أن يدخلهم جناته قيل لهم أوليس قد وعدهم الله ذلك ؟ فقال (يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) والله عز وجل لايخاف وعده فانما يشفع الى الله عز وجل عندكم فى أن لا يخاف وعده وهذا جهل من قولكم وانما الشفاعة المعقولة فيمن استحق عقابا أن يوضع عنه عقابه أو فى من لم يعده شيئا أن يتفضل به عليه فاما اذا كان الوعد بالتفضل سابقا فلا وجه لهذا .

■ سؤال ■ : فان سألوا عن قول الله عز وجل (ولا يشفعون الا لمن ارتضى؟) فالجواب عن ذلك الا لمن ارتضى فهم يشفعون له وقد روى أن شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان المذنبين يخرجون من النار

■ باب الكلام فى الحوض ■

وأنكرت المعتزلة الحوض وقد روى عن النبي صلىالله عليه وسلم من وجوه كثيرة وروى عن أصحابه بلا خلاف وروى عفان قال حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن الحسن عن أنس بن مالك انه ذكر الحوض عند عبيد الله بن زياد فانكره فبلغ أنساً فقال لا جرم والله لأفعلن به قال فاتاه فقال ماذكرتم من الحوض قال عبيد الله هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكره قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من كذا وكذا مرة يقول مابين طرفيه يعنى الحوض مابين إيلة ومكة أو مابين صنعاء ومكة وان آنيته أكثر من نجوم السماء ٭ وروى أحمد بن حمد الله بن يونس قال حدثنا ابن أبى زائدة عن عبد الملك بن عمير عن جندب بن سفيان قال سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول أنا فرطكم على الحوض فى أخبار كثيرة ٭

■ باب الكلام فى عذاب القبر ■

وانكرت المعتزلة عذاب القبر وقد روى عن النبيصلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة وروى عن أصحابه رضى الله عنهم وما روى عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحده فوجب أن يكون اجماعا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ٭ وروى أبو بكر بن أبى شيبة قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعوذ بالله من عذاب القبر» ٭ وروى احمد بن اسحاق الحضرمى قالثناوهيب قال ثنا موسى بن عقبة قال حدثتنى أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عذابالقبر ٭ وروى أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لولا أن لاتدافنوا لسألت الله عز وجل أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمعنى ٭

■ دليل آخر ■ : ومما يبين عذاب الكافرين فى القبور قول الله عز وجل (النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون

أشد العذاب) لجعل عذابهم يوم تقوم الساعة بعد عرضهم على النار فى الدنيا غدواً وعشيا وقال سنعذبهم مرتين مرة بالسيف ومرة فى قبورهم ثم يردون الى عذاب غليظ فى الآخرة: وأخبر الله عزوجل أن الشهداء فى الدنيا يرزقون و يفرحون بفضل الله قال عزوجل (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أموتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون) وهذا لايكون الا فى الدنيا لأن الذين لم يلحقوا بهم أحياء لم يموتوا ولا قتلوا .

■ باب الكلام فى إمامة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ■

قال الله تبارك وتعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) وقال عزوجل (الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) واثنى الله عز وجل على المهاجرين والأنصار والسابقين الى الاسلام وعلى أهل بيعة الرضوان ونطق القرآن بمدح المهاجرين والانصار فى مواضع كثيرة واثنى على أهل بيعة الرضوان فقال عز وجل(لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) الآية: قد أجمع هؤلاء الذين اثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وسموه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه وانقادوا له وأقروا له بالفضل وكان أفضل الجماعة فى جميع الخصال التى يستحق بها الامامة من العلم والزهد وقوة الرأى وسياسة الأمة وغير ذلك ..

■ دليل آخر ■ : من القرآن على إمامة الصديق رضى الله عنه وقد دل الله على امامة ابى بكر فى سورة براءة فقال للقاعدين عن نصرة نبيه عليه السلام والمتخلفين عن الخروج معه (قل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا) وقال فى سورة أخرى (سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله) يعنى قوله لن تخرجوا معى أبدا ثم

قال (كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) وقال (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم اولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا) يعنى تعرضوا عن إجابة الداعى لكم الى قتالهم (كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما) و الداعى لهم الى ذلك غير النبي صلى الله عليه وسلم الذى قال الله عز وجل له (قل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا) وقال فى سورة الفتح (يريدون أن يبدلوا كلام الله) فمنعهم عن الخروج مع نبيه عليه السلام وجعل خروجهم معه تبديلا لكلامه فوجب بذلك أن الداعى الذى يدعوهم الى القتال داع يدعوهم بعد نبيه صلى الله عليه وسلم وقد قال الناس هم فارس وقالوا أهل اليمامة فقد قاتلهم ابو بكر الصديق رضى الله عنه ودعا الى قتالهم وان كانوا الروم فقد قاتلهم الصديق أيضاً وان كانوا أهل فارس فقد قوتلوا فى أيام أبى بكر وقاتلهم عمر من بعده وفرغ منهم واذا وجبت إمامة عمر وجبت إمامة أبى بكر كما وجبت امامة عمر لأنه العاقد له الامامة فقد دل القرآن على امامة الصديق والفاروق رضوان الله عليهما واذا وجبت امامة أبى بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب أنه أفضل المسلمين رضى الله عنه .

﴿دليل آخر﴾ : الاجماع على امامة أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

ومما يدل على إمامة الصديق رضى الله عنه ان المسلمين جميعا تابعوه وانقادوا لامامته وقالوا له ياخليفة رسول الله ورأينا عليا والعباس رضى الله عنهما بايعاه رضى الله عنه واقرا له بالامامة واذا كانت الرافضة يقولون إن عليا هو المنصوص على امامته والراوندية تقول العباس هو المنصوص على امامته ولم يكن فى الناس فى الامامة الا ثلاثة أقوال : من قال منهم ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على أمامة الصديق وهو الامام بعد الرسول . وقول من قال نص على امامة على . وقول من قال الامام بعده العباس . وقول من قال هو ابو بكر الصديق هو باجماع المسلمين والشهادة له بذلك ثم رأينا عليا والعباس قد بايعاه واجمعا على امامته فوجب أن يكون اماما بعد النبي صلى الله

عليه وسلم باجماع المسلمين ولا يجوز لقائل أن يقول كان باطن على والعباس خلاف ظاهرهما ولو جاز هذا لمدعيه لم يصح اجماع وجاز لقائل أن يقول ذلك فى كل اجماع للمسلمين وهذا يسقط حجية الاجماع لان الله عز وجل لم يتعبدنا فى الاجماع بباطن الناس وانما تعبدنا بظاهرهم واذا كان ذلك كذلك فقد حصل الاجماع والاتفاق على امامة أبى بكر الصديق واذا ثبتت امامة الصديق ثبتت امامة الفاروق لان الصديق نص عليه وعقد له الامامة واختاره لها وكان أفضلهم بعد أبى بكر رضى الله عنهما وثبتت امامة عثمان رضى الله عنه بعد عمر بعقد من عقد له الامامة من أصحاب الشورى الذين نص عليهم عمر فاختاروه و رضوا بامامته وأجمعوا على فضله وعدله وثبتت امامة على بعد عثمان رضى الله عنهما بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد ولانه لم يدع احد من أهل الشورى غيره فى وقته وقد اجتمع على فضله وعدله وان امتناعه عن دعوى الامر لنفسه فى وقت الخلفاء قبله كان حقا لعلمه ان ذلك ليس بوقت قيامه فلما كان لنفسه فى غير وقت الخلفاء قبله كان حقا لعلمه ان ذلك وقت قيامه ثم لما صار الامر اليه أظهر وأعلن ولم يقصر حتى مضى على السداد والرشاد كما مضى من قبله من الخلفاء وأئمة العدل على السداد والرشاد متبعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم هؤلاء الأئمة الاربعة المجمع على عدلهم وفضلهم رضى الله عنهم وقد روى شريح بن النعمان قال ثنا حشرج بن نباتة عن سعيد ابن جمهان قال حدثنى سفينة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك ثم قال لى سفينة امسك خلافة أبى بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان ثم قال امسك خلافة على بن أبى طالب قال فوجدتها ثلاثين سنة فدل ذلك على امامة الأئمة الاربعة رضى الله عنهم فاما ما جرى بين على والزبير وعائشة رضى الله عنهم فانما كان على تأويل واجتهاد : وعلى الامام : وكلهم من أهل الاجتهاد وقد شهد لهم النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة والشهادة فدل على انهم كلهم كانوا على حق فى اجتهادهم وكذلك ما جرى بين على ومعاوية رضى الله عنهما كان على تأويل واجتهاد وكل

الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين فى الدين وقد أثنى الله و رسوله على جميعهم وتعبدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم والتبرى من كل من ينقص أحداً منهم رضى الله عن جميعهم ه قد قلنا فى الاقرار قولا وخبراً والحمد لله أولا وآخرا ه

■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■

تم كتاب الابانة للامام أبى الحسن الأشعرى بعد معارضته على أصوله المصححة و بذل العناية والجهد فى تصحيحه واتقانه وجودة طبعه فجاء بحمد الله تعالى وفق المرام وطبق المرغوب مستعينين بعناية الله تعالى مندفعين لذلك بحب خدمة العلم ونشر كتب السلف الصالح ونبتهل الى الله كى يجعل عملنا مقبولا و يوفقنا لدوام خدمة هذا المبدأ السامى والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
والتابعين لهم باحسان
الى يوم الدين



فهرست كتاب الابانة لأبى الحسن الأشعرى

فهرست كتاب الابانة لأبى الحسن الأشعرى

